

# الوعي الإسلامي

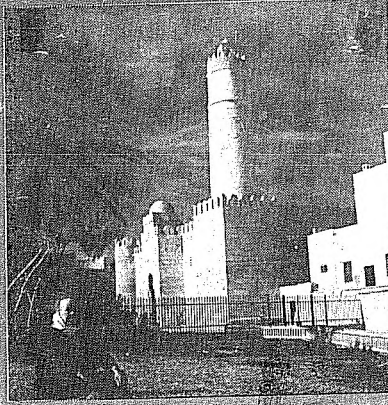
إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة — العدد ١١٨ — غرة شوال ١٣٩٤ هـ — أكتوبر ١٩٧٤ م



منارة الرباط بمدينة سوسة بتونس  
وتعتبر من أقدم المنائر في الاسلام .



الـ ثـ مـ :

## الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٨

غرة ثـوال ١٣٩٤ هـ  
أكتوبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ  
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية  
والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية  
بالكويت في غرة كل شهر عربي  
الاشتراك السنوي للهيئات فقط  
أما الأفراد فشترون رأسا  
مع منعه التوزيع كل في قطره

٥. فلسا	السكويت
١ ريال	السمودية
٧٥ فلسا	العراق
٥. فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعمان
٥. قرشا	لبنان وسوريا
٤. مليما	مصر والسودان

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية  
مستودع بريد : ١٣ - الكويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٢٢٠٨٨



بسم الله الرحمن الرحيم

# دَوْرُ الْإِسْلَامِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ



الدكتور : حسن هويدي

وتتجلى الفوضى الخلقية في المظالم الفردية والجماعية ، والأنانية المزرية التي تتضاعل أمامها غرائز الوحوش ، والإباحية المطلقة التي فتحت أبواب الزنا والربا والخمر والميسر والسرقة ، فنتج عن المظالم الفردية فساد ذات البين واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء ، ونتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس فمن الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية الى حرب كوريا الى حرب فيتنام الى حرب فلسطين الى ثورات متوالية في جميع أنحاء المعمورة ، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكان

بلغ العصر الحديث ذروة العلوم الطبيعية والكيمائية والكهربائية والبيولوجية فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب . الا أن الذروة يقابلها الحضيض ، فالعصر ينحط الى الحضيض في الفوضى الفكرية والخلقية ، تتجلى الفوضى الفكرية في المادية والروحية ، الاشتراكية والرأسمالية ، والرجعية والتقدمية ، واليمين واليسار ، والآثرة والآثار ، والحرية والعبودية ، والفرد والامة ، والنسبية والاطلاق ، والناس في ذلك بين أفرط وتفريط وكل يدعى أنه صاحب الحق ، وكل حزب بما لديهم فرحون .



الأرض قدر يغلى على النار ، او  
برخان دائم الانفجار : يابى الهدوء  
والاستقرار . وبجم عن الاناسيه  
عدوان امه على امه واستعباد تسعب  
لشعب واستغلال القوى للضعيف  
حتى لكان البشر اصبحوا وحوشا  
كاسرة لا هم لها الا السطو  
والافتراس ، ونتج عن الاباحيه ترجل  
المرأة وتخنت الرجل وضياع العفاف ،  
وهدم الأسرة ، وامراض الزهري ،  
وامراض الكحول ، والانتحار ،  
واللصوصية المنظمة والدجل الهادف ،  
والكفر بجميع المثل .

وانك لتجد هذه الصورة القبيحة  
التي تشكل فاجعة القرن العشرين  
تلف الاكثريه الساحقة من البشر ولم  
يبق الا القليل ممن يؤمن بالعدل  
والايثار والعفاف والأمانة والصدق  
والوفاء . حتى لكان هذه المثل الفاظ  
تحتاج الى ترجمة لكى تستسيغها  
عقول أبناء الجيل وضمائرهم .  
هذه حال العصر اليوم .. فما هو  
الدواء .. ؟

اننا حين نقدم الاسلام علاجاً لهذا  
السقم الفكرى والخلقى لسنا بمغالين  
ولا متعصبين وانما هي الحقيقة  
المشفوعة بالحجة والبرهان .  
امتاز الاسلام على سائر المبادئ  
والاديان بدعائم راسخة جعلته الدواء  
الناجع والبلسم الشافى والنظام  
الصالح لكل زمان ومكان .

### مجال الاسلام فى العقيدة والفكر :

١ - الإيمان بالله : إن تعلق  
المخلوق بعقيدة راسخة معناه  
الاستقرار الفكرى ومنع الاضطراب  
والتقلب والتردد ، حتى أن حياة بعض

الأمراء غير المؤمنين سضى ولم يصلوا  
الى اطمئنان او استمرار ولم يقدموا  
خيراً لانفسهم او لامهم الا نزاعاً او  
نقمه او ما تمليه عليهم الريشه  
والضياع . هذا هو الفرق بين حال  
المؤمن وبين حال الملحد . فكيف ان  
كان مؤمناً بالله واحد منزّه عن الشبيهه  
والشريك ليس كمثله شيء محيط بكل  
شيء . قادر على كل شيء . يحاسب  
على الصغيره والكبيره ولا بد من لقائه  
والوقوف بين يديه ! وقد خلت من  
أوهام الوثنيه ، وخيالات الشعوذه  
وسيطرة رجال الدين ، وأقامت  
فى داخل النفس وزعاً لا يفارقها ،  
فهو توحيد نفسى يؤيده العقل ،  
ويستسلم له المنطق ، فلا يصطدم  
بتعقيد التعدد ، وتناقضات الآلهه  
وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكرى  
وفساد خلقى . ولا يتسع مجال المقال  
للاستطراد فى اشباع هذه الفكرة  
أكثر من ذلك ، قال تعالى « أفمن  
يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من  
يمشى سوياً على صراط مستقيم »  
( الملك ) . وقال تعالى حكاية عن  
يوسف عليه السلام : « يا صاحبي  
السجن أرباب متفرقون خير أم الله  
الواحد القهار » وقال عز من قائل :  
« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »  
( الانبياء ) .

٢ - بين المادية والروحانية . ما من  
دين ولا مبدأ استطاع أن يجمع بين  
الروح والمادة كما جمع بينهما  
الاسلام . المادة والروح كلاهما حقيقة  
واقعة ولذلك وجدنا المبادئ المتعلقة  
بالمادة وحدها اتصفت بالقسوة  
والبلادة والظلم وجفاف الحياة من  
البهجة وخلوها من الرحمة والتعاون  
والتسامح حتى يمسى الانسان فيها

أخلاقي . وفى قوله تعالى : « وزاده بسطه فى العلم والجسم » ( ٢١٧ البقرة ) . وفى قوله تعالى : « ان خير من استاجرت القوى الامين » ( ٢٦ القصص ) وفى قوله تعالى : « وابتنى فيها آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ( ٧٧ القصص ) وفى قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » ( ١٠٥ التوبة ) وفى قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » ( ١٥ الملك ) .

٣ - سبيل الاعتدال :

يتجلى اعتدال الاسلام بتوسطه بين الافراط والتفريط ويبدو ذلك واضحا بتوسطه بين الاشتراكية والراسمالية ، وبين الرجعية والتقدمية ، وبين الفرد والامة .

( ١ ) بين الاشتراكية والراسمالية .

قد يطول البحث اذا اردنا التفصيل فيه ، فلا بد من الاجمال . فمعايب الاشتراكية تظهر فى نزاع الملكية والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية الامر الذى يصادم اعماق غريزة بشرية وهى حب البقاء المرتبطة كل الارتباط بحب التملك فالانسان الذى لا يملك لا يعمل ، والذى لا يعمل لا ينتج ولا يحسن الانتاج ، ولذلك وجدنا الانتاج قل وساء فى جميع البلاد الاشتراكية مما ادى الى تراجع فى بعض البلاد الشيوعية باباحة الملكيات الصغيرة ورسم علاوات لمن يزيد فى الانتاج . وهذا التراجع وحده طعنة فى صميم الاشتراكية ينذر بالقضاء عليها فى المستقبل ان لم تفرض على الانسان بالحديد والنار ، فالانسان ليس مجرد آلة يعمل ولا يملك او

آلة صماء لا حس لها ولا شعور ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز ولا خيان ، يتحرك بغير ارادته ، ويسكن بغير اختياره ، وبإله من قتل بشع لذاتية الانسان التى امتاز بها على الحيوان ، فهو مسخ تدريجى ، وموت لا شعورى ، وكيف لا يكون موتا وقد خلا من الروح ، وهل الموت الا نزع الروح .. ؟

كما نجد المبادئ التى تعلقت بالروح وحدها على غير هدى واهملت شأن المادة كل الاهمال ، عزفت باتباعها عن الحياة بما فيها من العلوم والصناعة والزراعة وال عمران وما يتصل بذلك من الاكتشافات والاختراعات التى تتفجر فيها الطاقات الفكرية الكامنة وقدرة الانسان العجيبة التى تخرج على العالم كل يوم بأصناف الفنون وانواع الصنائع ، وتبارك الذى دفع الانسان الى ذلك دفعا حينما أنزل عليه قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » ( العلق ) .

اذن نجد ان هذه النزعة الروحية المتطرفة هى فرار من الحياة فلا الاولى اصاب ، ولا الاخرى اجابت ، ولكن الاسلام وحده هو الذى اصاب الهدف ، واجاب مطالب البشر ، فجمع بين المادة والروح والى على كل منهما بنصوص صريحة ، وخطوط عملية ، وحدود واضحة . يتجلى ذلك فى الصلاة : جسم يتحرك وروح خاشعة . وفى الصيام : ترويض للبدن وتزكية للأخلاق . وفى الحج : سعى وهرولة ودعاء وتلبية . وفى الزكاة : نظام اقتصادى وعمل

**وشرطين على الربح — اجمالا دون تفصيل .**

أما الشرط الأول المضروب على رأس المال فهو **الزكاة** التي تبلغ في النقد ٢.٥٪ بحيث تتحول أى ثروة كانت ، ومهما عظمت ، الى الأمة خلال أربعين سنة ، ومعنى هذا أن **الفرد يهب ماله كله للمجتمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة** ، فتأمل : ومثل هذا لا يوجد في الرأسمالية .

وأما الشرط الثانى المضروب على رأس المال فهو **الإرث** وهو كفىل بتفتيت الثروات وتحويلها من فرد واحد الى عدة أفراد حسب عدد الورثة ومثل هذا غير متوفر في النظام الرأسمالى فى أكثر البلاد . وأما الشرط الأول المضروب على الربح فهو **تحریم الربا** الذى يكس ثروات طائلة بأيدي الأشخاص بغير جهد ولا نصب الا استغلال الفقراء والضعفاء . ولو أحصينا عدد الأثرياء فى البلاد الرأسمالية لوجدنا أكثرهم مرابين ، أساس ثرواتهم الفاحشة مبنى على الربا .

وأما الشرط الثانى المضروب على الربح فهو **القمار** وكل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التي كثيرا ما تؤدي الى الثراء الفاحش والتضخم المالى بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق . واحتاط الاسلام أيضا ، وراء هذه الشروط الاربعة ، بقواعد عامة خلت منها النظم الرأسمالية ، وهى **تحریم الاحتكار وتواطؤ التجار ، والاستغلال والربح الفاحش ، والفشى ، والتلاعب بالأسعار** الى آخر ما هنالك من سيئات النظام الرأسمالى الذى لم يكن

يندفع لتحسين الانتاج باطراد ولو كان الانتاج لغيره ، وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الانفاس .

ان مثل هذا الاندفاع ضرب من المستحيل ولذلك وجدنا ان كل نظام يصادم فطرة الانسان وغريزته صائر حتما الى زوال ، طال الزمن او قصر . وأما معاييب الرأسمالية فتتمثل بتضخم المال وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة ، وباستغلال الغنى للفقير وما ينشأ عنه من **الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتلاعب بالأسواق** لحساب طبقة خاصة على حساب سواد الناس **والربح غير المشروع كالربح الفاحش والقمار والفشى** . تلك المعاييب التى أحدثت ردود فعل عنيفة كان من جملتها النظم الاشتراكية . ولا بد لكل رد فعل ان لا يتصف بالاتزان ، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هى نقائص عيوب الرأسمالية وفى كلتا الوجهتين غلو وتطرف كما بين الامراط والتفريط .

ولكن الاسلام — على ضوء هذا المخطط المجمل — هو الذى خلا من عيوب الوجهتين ، والتزم طريق الاعتدال ، فلم يحرم الملكية فيصادم **فطرة البشر ويقضى على طاقاتهم وفعاليتهم** ، وتسابقهم الشريف ، وتنافسهم المطرد ، ذلك العنصر الأساسى فى المبادرة الشخصية التى هى أساس كثرة الانتاج ، وتحسين الانتاج ، وهذا أساس لا بد منه لصلاحية كل نظام اقتصادى . ولكنه لم يدع الباب مفتوحا على مصراعيه شأن الرأسمالية حتى احتاط دون تضخم المال وما يجز اليه من سيئات **فعالج الامر بشرطين على رأس المال ،**



الى القمر . فمهما تقدم الانسان في هذا المضمار فهو تقوم محمود ، وسير غير محدود : « وفوق كل ذي علم عليم » ( ٧٦ يوسف ) . وثمة تقدم مضموم وهو الانحدار المتمثل في القضاء على المثل العليا والفضائل المجمع عليها والانغماس في الرذائل المجمع على قبحها وإيذائها كالكذب والخيانة والمكر والغش ونقض العهد والسرقة ، تلك السيئات التي وجدت لها مرتعا خصبا في أوساط أدعياء **التقدمية العصرية** لأنهم كفروا بنقائضها من المثل العليا ، خشية أن يوصموا **بالرجعية** .

وكما أن للتقدم نوعين محمودا ومضموما كذلك الأمر في الرجعية فثمة رجوع محمود يتمثل بالرجوع الى الحق مهما كان قديما ورجوع مضموم يتمثل بالرجوع الى القديم ولو كان خطأ أو نقصا .

أما الأول فانه الرجوع الى الصدق والوفاء والأمانة والعدل مهما تقدم الزمن . والرجوع الى ما ثبت من الحقائق الرياضية والهندسية والجغرافية وما شاكلها مهما تقدم عليها الزمن ذلك أن ثمة أمور لا يمسها التطور الى أن تقوم الساعة . ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح الى نقائضها بداعي التقدمية والخلاص من الرجعية . والظاهر أن التعبير بالرجعية كان قديما يتعرض له أصحاب الدعوات في كل عصر ، حتى وجدنا بعض مناوئي الإسلام يرمون الدعوة الإسلامية بالرجعية أبان ظهورها وتقدمها فيقولون كما حكى القرآن عنهم « ان هذا الا اساطير الاولين » ( ١٨٣ المؤمنون ) .

له اساس من العقيدة يرجع اليه في تهذيب اقتصاده وفرض نظام على هدى ومنطق سليم . اذن يجد المنصف ان الاسلام جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية عدلا واتزاناً وانجازاً وحلوا من الأحقاد ، وبعداً عن ردود الفعل المتوالية المتمثلة بالانمراط والتفريط .

ب ) بين الرجعية والتقدمية : تلك النغمة التي قسمت العالم فريقين واستغلتها السياسة أبشع استغلال حتى كاد يضيع مفهومها ومدلولها ، فكل أمة مالت الى اليسار فتجلى ذلك لديها بالاحاد والاباحية والعنف والقسوة والتحلل من القيود والريبة فهي تقدمية . وكل أمة مالت الى الجمود والثبات على بعض المفاهيم ، والاصطباغ بصبغة الدين ، والتغنى بنوع من الاخلاق ، والارتباط بالقديم .. فهي رجعية . ولكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هذا التمييز ، على ما فيه من باطل ، في دوامتها السريعة واستغلالها المفرض . فان انكثرا مثلا رجعية بالنسبة لروسيا . وان روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين ، وهكذا يجري التسابق الرخيص دون معايير منطقية حتى أمسى سبابا وشتائم قبل أن يكون تقويما ( تقييما ) حقيقيا مبنيا على معايير صحيحة ومنطق سليم .

**والحق في هذه المسألة** ان كل انسان عاقل يجب أن ينشد التقدم ، والذي لا يتقدم يتأخر حتما . ولكنه **يجب ان يتقدم الى القمة لا الى الهاوية** . اذن ثمة تقدم محمود : وهو المصمود المتمثل بالعلوم والصناعة والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تقف عند حد حتى أوصلت الانسان

الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ( ١٦٤ البقرة ) . « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » ( ٣٨ يس ) . « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » ( ٥ الزمر ) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة والصناعة والفلك وما إليها ، تكاد لا تحصى ، ولا يتسع المجال للتفصيل في ذلك أكثر .

ج ( بين الفرد والامة :

غالت بعض النظم في قيمة الفرد حتى جعلته إلهًا يعبد من دون الله فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتوري والفاشي والنازي وكانت الأمة فريسة لطغيان الفرد فكم ديست كرامات ، وانتهكت حرمان ، وكبتت حريات ، بسبب ذلك الحكم الفردي الجائر الذي هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحريرتها . وادعت بعض النظم أن الحكم للأمة ولا قيمة للفرد فهو مسمار في عجلة الجماعة ، فلا رأى له ولا قدسية ولا حرية ولا كرامة . فاقطيد الناس كالبهائم ، وخشروا حشر السوائم ، وسجنوا جحافل فوق جحافل ، كتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء ، وتسخر كما يسخر الارقاء ، ويتمنون لو استطاعوا الصراخ ، الصراخ فقط للتعبير عن الألم ، فلا يستطيعون ! أما الاسلام ، وهنا تتجلى العظمة والاعجاب البالغ ، فهو الذي ألف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد ، أو يعتدى على الجماعة . الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة ، ولكن ان اعتدى وظلم ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ،

« ان هذا الا خلق الاولين ( ١٣٧ الشعراء ) . « وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا » ( ٥ الفرقان ) . ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الاسلام وظهوره . وأما الرجوع المذموم فهو التمسك بكل قديم مهما كان ولو تبين خطؤه ، أو ظهر خير منه ، وأجدى على الفرد والمجتمع ، كمن يصر على وسائل الزراعة والصناعة والعمران التي كانت تستعمل قديما ، ويحول دون العلوم العصرية التي قطعت شوطا عظيما في التقدم ، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرع . . ؟! لا يمكن أن يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة . ولمثل هذا يقال بحق إن دولاب الزمن لا يرجع الى الوراء . وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقي في التقديمية والرجعية نجد ان الاسلام كان وسطا بين النظرتين الجائزتين بعيدا عن أكاذيب السياسية ، محفوظا من التسابق غير الشريف ، لا يوزع الالفاظ جزافا ، ولا يتغنى بالالحن الفارغة ، فهو ينشد **التقدم المحمود وبحض عليه ، ويرجع الى الحق مهما كان قديما ويصر عليه** . وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود ، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع وان شئت فاقرا قوله تعالى : « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا » ( ٦١ النمل ) « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف

في كل العالم ، لتري الى اى حد بلغت المظالم الفرديه واى رقم بلغت الجريمة ، فالفرء اعتاد الظلم ودرج عليه ، والقضاء فانسء ليست فيه عقوبة رادعة فى الأغلب ، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم ، اضرءوا نيران الجرائم لكى تمتلئ جيوبهم ، والحكام كثير منهم زور عن الحق ولو ظهر جلجا لأعينهم . كل أطراف القضية متواطئون على الجريمة . وكل اسوار الحمى منتقضة ، حتى ضجت الأرض من ظلم أهلها . فأين يجد العدل مأمنة ويحظى الحق بحماه ؟!؟

هنا يبرز دور الاسلام العظيم فى تهذيب الفرد واقامة وازعه الداخلى الذى يرافقه حتى المبات مبنا على مراقبة الله وخشعية الوقوف بين يديه واليقين بزوال الدنيا وبقاء الآخرة . . وفى صلاحية مادة القضاء التى تضع الامور فى نصابها : « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الألباب » وفى تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل وتقول الحق ولو كان على النفس أو الوالدين والأقربين « ولا يجرمكم شتان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » فالمحامى والحاكم والشاهد انما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ذلك أن الحاكم يتمثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن » وقوله عليه الصلاة والسلام « قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » والشاهد يتمثل قوله تعالى : « لا تكتبوا الشهادة ومن يكتبها فانه آثم قلبه » ووعيد

وان زل واخطأ ، قامت اليه امرأة تصحح له ، فيقول : ( أصابت امرأه واخطأ عمر ) . وان اراد ان يستبد فالامة له بالمرصاد ، وان اراد ان يستأثر برأيه ويضرب بأراء الناس عرض الحائط خوطب بالآية الكريمة « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » وان اراد أن يستهين بفرد واحد باعتداء أو حرمان حق أو هدر دم زجرته الآية الكريمة التى تشير الى قدسية النفس الانسانية وحمايتها « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » ( ٣٢ المائدة ) . للفرد حقوقه وحدوده وللأمة حقوقها وحدودها والجميع يعملون يدا واحدة فى وحدة متماسكة كالجسد الواحد « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » ( ٤ الصف ) وكما أخبر عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

### مجال الاسلام الخلقى :

لا أحد يستطيع ان ينكر الواقع البشرى المنحط من الناحية الاخلاقية . فالظلم والاباحية والانانية كل رزية من هذه الرزايا ، لعبت دورها الكبير فى المجتمعات البشرية الحاضرة ، وانحط فيها الخط البياتى الى الحضيض . .

تعالى معى الى دور القضاء ، ومكاتب المحامين ، وسجلات الجرائم



وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريا لا فائدة منه فقال : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما راحة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر كما ثبت في السنة الصحيحة بل ورد وجوب قتله ان اصر على المعصية جهارا ولم يرتدع .  
والاثرة ( وهي الانانية ) ذلك الداء الموبيل الذي أصبح يتحكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون اس جميع المفسد وطابع جميع الاعمال ، بل تأصل في النفوس وطفى عليها حتى نسيت عاره ، وانسجمت معه فاحتكمت اليه فأصبح مقياسا للاندفاع في العمل أو الاحجام عنه ، فالعمل بمقدار ما يؤمن لك مصلحتك الخاصة يكون عملا صالحا يجب الاقدام عليه وبمقدار ما ينافي مصلحتك الخاصة يجب الاحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة .. يا سبحان الله كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الاخلاق .. ؟!  
ولك أن تتصور بعد ذلك هول الانحدار الذي تتردى فيه الانسانية الى هوة سحيقة عرفت أولها ولا يمكن أن تعرف آخرها لأن قعر جهنم لا يعرف له مدى الا في علم الله تعالى .  
هنا تبدو عظمة الاسلام أيضا الذي يأبى الا أن يبنى الاخلاق على أساس متين والا أن يحل المشكلات حولا جذرية « أممن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم » فاذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيها

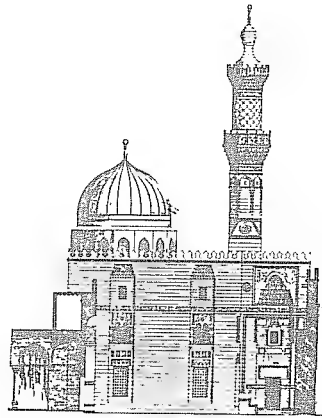
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شهادة الزور من اكبر الكبائر . وأصبح المحامي يخشى أن دافع عن ظلم وباطل أن يكون رزقه سحتا « وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » فما أحوج العصر لنور الاسلام .

ثم تعال معي نحصى حصاد الاباحية ان كان يمكن الاحصاء :  
كم فتكت الاباحية في كيان البشرية بالزنا والربا والخمر والميسر بداعي الحرية الزائف ، وسرابها الخادع ، تعال معي الى عيادات الأطباء وسجلات المستشفيات في شرق الارض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام ضحايا الزنا والربا والخمر والميسر . ان أنواع الأمراض الزهرية من الامرنجي والسيلان والقرحة اللينة ، وأنواع التسمم الغولى من تشمع الكبد وقرحة المعدة وتصلب الشرايين وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا والقمار انتشرت في جميع انحاء المعمورة وتزايدت أرقامها باطراد حتى عجز الطب عن المعالجة وسرى المرض من الآباء الى الأبناء ومن الاجداد الى الاحفاد ويكفى أن تعلم أن أكثر أسباب السكتة القلبية ( الجلطة ) والسكتة الدماغية عائد الى الخمر والامرنجي حتى تعلم ما تجره هاتان العائلتان على العالم من شرور . وهنا نذكر دور الاسلام العظيم الذي ينادى بأعلى صوته « انما الخمر والميسر والانصاف والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقنا وساء سبيلا » .

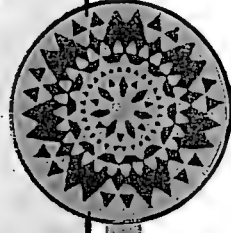
بموضوع ، وانما كان البحث على  
مستوى الاصول لا الفروع .  
بهذا العرض السريع المجمل يتبين  
ما للاسلام من دور عظيم فى اصلاح  
حياة الافراد والجماعات لاسيما العصر  
الذى نعيش فيه فانه بقدر ما تكون  
الارض عطشى تحتاج الى الماء ،  
وبقدر ما تحتبس الانفاس ، تحتاج  
الى الهواء ، وان نظرة فاحصة  
مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع  
بصلاحية هذا الدستور الالهى العظيم  
ليخرج الناس من الظلمات الى النور  
وان غدا لناظره قريب وما ذلك على  
الله بعزيز .

على الانانية المقنونة فان اخلاق  
الاسلام مبنية على الايثار والغيرة  
« ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم  
خصاصة » « لا يؤمن احدكم حتى  
يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

وبهذا الدستور الخالد تحسم اكثر  
الجرائم التى إن بحثنا عن أسبابها  
العميقة وجدناها ترجع الى انانية  
مقنونة تخفى تحتها اقبح صور الحقد  
على الناس . ولا يتسع المجال لضرب  
كثير من الامثلة العملية التى تفضح  
سوءات الانانية وتفضح عن جمال  
الغيرة ، فذلك يستقل وحده



# ابراهيم واسماعيل في القرآن



للاستاذ : محمد عزة دروزة

لم نطلع على وثيقة تاريخية قديمة يصح الاعتماد عليها فيها ذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أقدم من سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداولة اليوم والذي لا يحمل أى دلالة على أنه وحى ربانى أو أملاء من موسى عليه السلام أو نبي آخر ، والذي حوى الفث والسمين والخيال والمفارقة والحقيقة والذي فيه دلائل قوية وعديدة على أنه كتب بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة وبعبارة أخرى بعد الوقت الذي وجد وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فيه بأكثر من ألف عام على ما شرحناه فى مقال سابق لنا فى الوعى بعنوان : أين هى توراة موسى عليه السلام .

وجل ما ورد فى هذا السفر عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هو خبر قدوم إبراهيم ولوط عليهما السلام مع سارة زوجة إبراهيم الى أرض كنعان وهو الاسم الذى كان يطلق على فلسطين فى غرب الاردن وولادة إسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام وأولادهم وطرف من سيرتهم فيها ومخاطبات وتجليات ووعود ربانية لهم . وليس فيه شىء مما يعود الى حياة إبراهيم عليه السلام قبل قدومه الى أرض كنعان إلا شيئاً يسيراً جداً وهو ما ورد فى اصحاحه الثانى عشر من أنه هو وأبوه ولوط ابن أخيه وزوجته سارة خرجوا من اور الكلدانيين لينطلقوا الى أرض كنعان وجاءوا الى حاران أرام النهرين ثم أمر له بالانطلاق الى هذه الأرض فانطلق اليها هو ولوط وزوجته دون الأب .



هذا في حين أن في القرآن الكريم أشياء كثيرة عن حياته قبل قدومه إلى أرض كنعان وبمده ليس منها شيء في هذا السفر .  
ولقد ذكر إبراهيم عليه السلام في خمس وعشرين سورة منها ( ١٣ )  
مكية وذكر في بعضها أكثر من مرة . وذكره في بعضها مقتضب وفي  
بعضها مسهب . وفي بعضها بعض المطابقة مع ما جاء في سفر التكوين  
من سيرته في أرض كنعان .  
وفي بعض ما جاء في القرآن الكريم أخبار عنه بعد قدومه إلى  
أرض كنعان لم ترد في سفر التكوين .  
ومما ذكر فيه أخبار عن حياته في قومه قبل قدومه إلى هذه الأرض  
لم تذكر كذلك في هذا السفر .

ومن ذلك خبر استنكاره عبادة أبيه وقومه للأصنام ونظرته في النجوم  
وبنده لها واتجاهه بهدي الله نحو الله حنيفا موحدا وحجابه مع قومه في  
ذلك . وهو ما جاء في سورة الأنعام منه هذه الآيات ( وإذا قال  
إبراهيم لأبيه آزر اتخذ أصناما آلهة أنى أراك وقومك في ضلال مبين .  
وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما  
جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الظالمين . فلما  
رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدهني ربي لأكون من  
القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت  
قال يا قوم أنى برىء مما تشركون . أنى وجهت وجهي للذي فطر السموات  
والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هذان  
وما أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما  
أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم  
ينزل به سلطانا فإى الفريقين أحق بالأمن أن كنتم تعلمون . الذين آمنوا  
ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا  
آتيناهم إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم ) . .

وقد جاء في آخر السورة هذه الآيات خطابا للنبي صلى الله عليه  
وسلم ( قل أننى هدانى ربي إلى صراط مستقيم . دينا قيميا ملة إبراهيم  
حنيفا وما كان من المشركين . قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله  
رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) . .

وجاء في سورة النحل هذه الآيات ( أن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا  
وما كان من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباها وهدها إلى صراط مستقيم  
وآتيناه في الدنيا حسنة وهو في الآخرة من الصالحين . ثم أوحينا إليك أن  
اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ) . .

ومن ذلك جداله مع أبيه وقومه في صدد عبادة الأصنام . وجاء ذلك  
في سور مريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت والصفافات والزخرف  
والممتحنة . وأشملها ما جاء في سورة الأنبياء هذا : ( ولقد آتينا إبراهيم رشده  
من قبل وكنا به عابدين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها  
عاكفون . قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى  
ضلال مبين . قالوا اجئنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب

السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على نلكم من الشاهدين . وتالله  
لاكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم  
لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بالهتنا أنه لن الظالمين . قالوا  
سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فاتوا به على عين الناس لعلهم  
ينشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم . . قال بل فعله  
كبيرهم هذا فاسألوهم أن كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا  
أنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .  
قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم وما تعبدون  
من دون الله أفلا تعقلون . . قالوا حرقوه وأنصروا آلهتكم أن كنتم  
فاعلين . قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيدا  
فجعلناهم الأخرسين . ونجيناه ولوطاً الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين .  
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة  
يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وآتوا الزكاة  
وكانوا لنا عابدين ) . .

ومن ذلك أيضاً ما جاء فى سورة إبراهيم فيه حكاية اسكان إبراهيم من  
ذريته عند بيت الله المحرم ودعائه وهذا هو : ( واذا قال إبراهيم رب اجعل  
هذا البلد آمناً واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيراً  
من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا أنى  
استكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة  
فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون  
ربنا أنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى  
السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق إن ربي  
لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء .  
ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ) . .

وما تقدم هو قرآن مكى . وفى القرآن المدنى فصول عديدة من ذلك .  
فى فضل اتباع ملة إبراهيم هذه الآية ( ومن أحسن ديناً ممن  
أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم  
خليلاً ) . .

وفى كون ما عليه المؤمنون هو ملة إبراهيم هذه الآية فى آخر سورة  
الحج ( وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين  
من حرج ملة أبىكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون  
الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا  
الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ) . .

وفى سورة البقرة فصل طويل فى صدد رفع إبراهيم واسماعيل  
قواعد البيت ودعائهم . منه هذه الآيات : ( واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات  
فاتمهن قال أنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدي  
الظالمين . واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم  
مصلى وعهدنا الى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين  
والركع السجود . واذا قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله  
من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلاً  
ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذا يرفع إبراهيم القواعد

من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ( .. ) .

وفى سورة البقرة ايضا هذا الفصل فى حكاية حجاج بين ابراهيم وملك بلاده ( ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحى ويميت قال انا احى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ) .

وفى سورة الحج فصل طويل فيه أمر الله لابراهيم بان يظهر البيت ويؤذن فى الناس بالحج وهو هذا ( ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم . واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ( .. ) .

وفى سورة آل عمران فصل فيه توكيد لأمر الله باتباع ملة ابراهيم وبأن أول بيت وضع للناس هو الكعبة وايجاب حجه على المستطيع ( قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ( .. ) .

ويتبادر لنا والله أعلم ان فى جملة ( ملة ابيكم ابراهيم ) الواردة فى الآية الاخيرة من سورة الحج مفتاحاً لفهم حكمة ماورد فى القرآن الكريم من كل ما تقدم . فقد نبهت المؤمنين الذين كان جلهم عربا حجازيين الى ما يعرفونه ويتداولونه جيلا بعد جيل من انتسابهم بالنبوة الى ابراهيم عليه السلام . وهذا التنبيه شامل كما هو المتبادر لجميع العرب وبخاصة الحجازيين مؤمنيههم ومشركيههم معا .

ومن المتواتر الذى يكاد يكون يقينا ان هؤلاء العرب كانوا قبل الاسلام يتداولون خبر اسكان ابراهيم عليه السلام لاسماعيل عليه السلام فى وادى مكة . وأن اسماعيل عليه السلام عاش وكبر وتزوج من العرب فكانوا ذريته . وأن ابراهيم واسماعيل ابنيه عليهما السلام هما



الذان بنيا الكعبة بيت الله الحرام . وأن تقاليد الحج هي من وضع ابراهيم عليه السلام بأمر الله . فرددت آيات البقرة وآل عمران والحج ذلك لتقول لهم ان ملة ابراهيم عليه السلام هي توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام والنجوم التي نبذها وعبادة الله وحده . وأنه قال ان من اتبعني فهو مني وأنه دعا الله ليجنب ذريته الأصنام التي أضلت الناس وأنه هو واسماعيل عليهما السلام دعوا الله بأن يجعل من ذريته امة مسلمة وأن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . وأن الله قد استجاب لدعائه فبعث الله فيهم نبيا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وأن عليهم أن يتبعوه وينبذوا الشرك وعبادة الأصنام ويعبدوا الله وحده لتصدق نسبتهم اليه ويكونوا حقا وصدقا أبناء ابراهيم وعلى ملته حنيفا مسلما وما كان من المشركين .

وفى سورة الممتحنة فصل رائع في موقف ابراهيم عليه السلام والذين معه من قومهم الكفار ودعوة للمؤمنين العرب الى التأسى به تأسيسا على ذلك وهو ( ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالموودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . أن يتفقوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا واغفر لنا ربنا أنك أنت العزيز الحكيم . لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتولى فإن الله هو الغني الحميد ) . وشاعت حكمة الله أن يبعث فيهم الأمل وأن لا ييأسوا ويعتبروا القطيعة مستمرة بينهم وبين بني قومهم فتشتد أشجانهم وأن يؤذّنهم بأن المطلوب منهم هو عدم تولى الأعداء المحاربين المؤذنين لهم منهم وبأنه لا حرج عليهم أن يسيروا المسلمين ويقسطوا اليهم فجاءت هذه الآيات بعد تلك ( عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) .

ويظهر ان النبي صلى الله عليه وسلم وبعض المؤمنين لما أوحى الله بأن ابراهيم وعد أباه بالاستغفار واستغفر له كما جاء في آيات عديدة منها آية في سورة مريم ( سلام عليك ساستغفر لك ربى أنه كان بي حفيا ) وآية في سورة الشعراء ( واغفر لأبى أنه كان من الضالين ) ظنوا ان ذلك من ملة ابراهيم التي هم عليها وان لا حرج عليهم من الاستغفار لأقاربهم المولوي المشركين فنبههم الله الى خطأ اجتهدهم في آيات سورة التوبة هذه

باسلوب رائع حاسم ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه أن إبراهيم لأواه حليم ) .

ويظهر أن أهل الكتاب بعد الهجرة حينما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى اتباعه قالوا لهم بل نحن ندعوكم لأننا أهدى منكم فرد عليهم القرآن في آيات سورة البقرة ردا قويا حيث جاء فيه ( وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أونی موسى وعيسى وما أونی النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون . هل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . . )

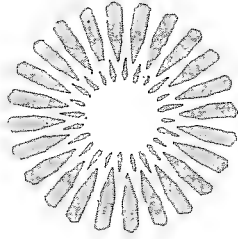
ويظهر أنهم عادوا إلى الحجاج في موقف آخر وقالوا أنهم على ملة إبراهيم فرد عليهم القرآن ردا قويا في آيات في سورة آل عمران وقرر أن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه والنبي صلى الله عليه وسلم ( يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزل التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (1) . ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . أن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين . . )

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة اتخذ بيت المقدس قبلة بدلا من الكعبة التي اضطره المشركون إلى الابتعاد عنها والهجرة إلى المدينة فآخذ اليهود يتبجحون ويقولون للمؤمنين أنهم هم الذين يهتدون بهداهم ويستقبلون قبلتهم . فشق ذلك على النبي والمؤمنين ودعا الله أن يهديه إلى ما هو خير فأمره الله باستقبال الكعبة فحقق اليهود وأخذوا يشغبون ويشككون المؤمنين ويقولون لهم إذا كان استقبال بيت المقدس هو الحق فيكون النبي قد أضاع عليهم صلاتهم الآتية وإن كان استقبال الكعبة هو الحق فيكون قد أضاع عليهم صلاتهم السابقة ولا يصح هذا من نبي . فرد الله عليهم في آيات سورة البقرة هذه ( سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم أن الله بالناس لرعوف رحيم . قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب

ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن آتيتهم أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من المكتمرين ( ٢ ) .

ويلفت النظر الى جملة ( وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ) حيث يفيد هذا انهم كانوا يعترفون ان ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وهى أقدم بمئات السنين من مسجدهم فى بيت المقدس فيكون استقبال الكعبة هو الأحق بالإهدى .

ويظهر أنهم عادوا الى الحجاج فى ذلك فرد عليهم القرآن ثانية فى آيات سورة آل عمران التى أوردناها قبل ( قل صدق الله .. الخ ) . وأوضح من كل ما تقدم ان قصص ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى القرآن تدور فى نطاق ما نبهنا عليه فى مقال سابق لنا فى ( القصص القرآنية ) وهو أنها مما ليس غريبا على السامعين . ومما هدف فيه الى العبرة والموعظة . وتدعيم الرسالة والنبوة المحمدية . وننبه هنا على ما نبهنا عليه فى ذلك المقال وهو أن من واجب المؤمن أن يقول آمنا به كل من عند ربنا ويقف عندها وقف عنده القرآن دون تزيد ولا تكلف مستشفا الحكمة مما اقتضت حكمة التنزيل إحياءه بالاسلوب الذى أوحى به . والحمد لله رب العالمين .



(١) المراد والله أعلم أن اليهودية والنصرانية صارتا ملة اليهود والنصارى نتيجة لنزول التوراة والانجيل وبناء عليهما .

(٢) المتبادر والله أعلم أن توجيه الله للرسول الى بيت المقدس كان على ما تلهم الآيات اختبارا للمؤمنين وبخاصة المهاجرين أهل الكعبة الذين يعرفون ان الكعبة هى بيت الله الحرام ومكان حج العرب جميعهم . حتى يحصهم ويظهر من الذى يؤمن بكل ما يأمُر الله ورسوله ويطيعونهما ويستفرون فى ذلك فى كل الأحوال ولو كان فيها يؤمرون به شئ مما لا يحبون .

# مفاهيم سليم

للدكتور محمد علي الزغبى

الاستشهاد بالآيات مبتورة ، ديدن الذين ضلوا على علم ، أو استعذبوا الحياة فى ديجور جهل ، وقلبوا الدواء داء عضالا .

## ١ - قد يتلو الجبرى قوله تعالى :

« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ويعلق عليها قائلا :

« إن الله اختار من الأزل فريقا للجنة وفريقا للنار ، ولذا سيذهب سعى الساعين وعمل العاملين عبثا ، أذ السعادة قبل الولادة ، وليس الانسان الاريشة فى الهواء أذ الله عمل بيد الانسان خيرا أو شرا وقال بلسان الانسان صدقا أو كذبا » .

هذا ما يفهمه الذين يصدرن الأحكام المرتجلة مستنديين لتلاوة الآيات مبتورة ، لقد فاتهم أن الآية مسبوقه بهذا النص :

« إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » .. « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » .  
وواضح أن القرآن يصور الأصنام محروقة أمام عابديها تحذيرا لهم وتنبيها الى أن المحروق لا يعبد .. !

وقد توهم بعضهم حين نزول الآية ، أن كل معبود من دون الله يحرق وأدخلوا فى هذه الكلية الرسل والأنبياء والحكماء الذين عبدتهم الفلاة ، ولكن الوحي صحح هذا المفهوم بقوله : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » يعنى أن الرسل والأنبياء والحكماء والعظماء الذين عبدوا ، سواء كانت فلسفة عبادتهم قائمة على الحلول أو الاشراق أو الانبثاق أو التجلى أو التجسد أو التانس .. ليسوا مسئولين عن انحراف الفلاة الذين عبدوهم لأنهم ( الرسل والأنبياء والعظماء ) لم يأمرؤا الناس بالانحراف .

## ٢ — وقد يستشهد بعض الناس بشطر من الآية مثلا :

« أريدون أن تهدوا من أضل الله » .

وفاتهم أن القرآن سبيل للهداية وعصية من الضلال « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى » كأنهم ظنوا الله يرسل شمس الهداية لقوم ويحجبها عن آخرين دون سبب .

فاتهم هذا فلم يقرأوا الآية بنصها الكامل :

« فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أريدون أن تهدوا من أضل الله » .

أذ لو قرأوها كاملة لرأوا المنافقين راسبين بسبب أعمالهم ، لأنهم ضلوا طريق الهداية ، ومن يتكبه عمدا واختيارا فقد طلب طريق الضلال فوجده أو تخطى عن الله فتخطى الله عنه ، وهذا معنى الضلال ( أضل الله ) .

## ٣ — وأن يردك بخير فلا راد لفضله :

هذه الآية يتخذها بعضهم دليلا على أن الله يعطى ويمنع ارتجالا ، ولو راجع القارئ الآيتين ١٠٧ و ١٠٨ من سورة يونس لرآها في معرض التنبيه على أن الأصنام لا تنفع عابديها ولا تضرهم أى لا تكشف عنهم ضررا ولا تحول دون إيصال النفع .

## ٤ — قل كل من عند الله :

يذكر الجبريون هذه الفقرة مبتورة من الآيات حين محاولاتهم التنصل من الشر تعليقا على كلمة « الخير من الله والشر من الناس » يحاولون التنصل غير عالمين أن يهود المدينة كانوا إذا أصيبوا بقحط قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « القحط بسبب قدومك المدينة » ، ولكن الله رد عليهم بقوله : « قل كل من عند الله » أى إقبال الزراعة والثمار وقحطها من عند الله ، ليس لقدوم رسول الله شأن فى ذلك كله ..

## ٥ — فآلهمها فجورها وتقواها :

من الفهم الملتوى وقوف الجبريين طويلا عند آية « فآلهمها فجورها وتقواها » يرددونها دون فهم ، ليضـمـعوا تبعة أعمالهم على الله لأنه طبعها بمفهومهم الهم الإنسان الشر .. !

أواه : لو علموا أن ( الهم ) هنا بمعنى عرف لا معنى أرغم أو أجبر ، اذ لا يتفق الجبر والنهى ومن المستحيل أن يلهما أى يجبرنا الله على ما نهى عنه .. !

لقد عرفت ما ينبغى أن تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية ، لتمييز رشدنا من غيرها ، اذ النفس قطعة بيضاء نستطيع المحافظة عليها نقية



ناصمة ، ونستطيع غميسها في مستنقع الضلال وقد علق الله فلاحنا على المحافظة وخيبتنا على القصور فقال « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » أى لوئها ، ولا يعلق الفلاح والخيبة إلا على ما نستطيع تحقيقه ، اذ « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . ألا لقد بيّن الله للإنسان طريقى الخير والشر فهده النجدين ، أى أوقفه فى الطريق ذى المفترقين « إما شاكرا وإما كفورا » وقدره على التمييز بينهما ومتعه بنعمة الاختيار .

#### ٦ — الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر :

هذا موضوع تحدث فيه القرآن عن ثروة قارون التى دفعتها للفطرسنة وأفضت للخسف والدمار وقد صور القرآن الذين « أوتوا العلم » بعدم تمنى مثلها وصور محبى العاجلة بالجشع والتمنى ثم قال بلسان حال أهل العلم : « ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » والآية هنا تمرض موضع المبرة لنعلم أن وجود المال بيد شخص ما ليس دليلا على أن الله يحبه ويكرمه ، وتجريد شخص من المال ليس دليلا على أن الله لا يحبه ، اذ المال حطام لا يحبه الله عمن سار فى طريقه سواء كان الطريق مستقيما أو ملتويا ، عملا بناموس الاختيار الذى استلزمه نظام التكليف .

#### ٧ — وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله :

هذه جاءت بعد « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » أى لو شاء لجعل الإنسان مرغما على الهداية والإيمان ، لكنه لم يشأ اذ منحه حرية الاختيار وهى والجبر لا يلتقيان . . . لقد علم سبحانه أن فلانا سيعطى حرية الاختيار ولا يستفيد منها مختارا ، وبذا يعرض عن الإيمان مختارا ، ولو شاء الله لأرغمه ، ولكنه تعالى لم يشأ ! اذ لو أرغمه لأبعده عن دائرة المكلفين والحقه بنظام الكون . . . !

#### ٨ — فريق فى الجنة وفريق فى السعير :

لا تعنى أن الله صنف عباده مذ قرر ايجادهم بل تعنى أنه علم أن قوما منهم يستفيدون من الحرية والاختيار ويعبدون طريقا يفضى الى الجنة مع قدرتهم على الانحراف ، وبعضهم يمل الحرية والاختيار ، ويسير على طريق ملتوية زاعما أن الله كتبه فى الفريق الهالك ، فينحرف مع قدرته على الاستقامة . وذلك لأن باب رحمة الله : « الإيمان به والوقوف عند حدوده » مفتوح ، أما الذين أعرضوا عنه ، فأعرضهم باختيارهم ، لقد أعرضوا وهم قادرون على عدم الاعراض . . . !

لقد غزت المفاهيم السقيمة قوما ، فصوروا الله مرتجلا يقسم عباده  
فريقين أحدهما للجنة والآخر للنار ، ناسين الآيات التى تهب عامل مثقال الذرة  
ما يناسب جهوده ..

على أن قوله تعالى : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » ليس قرارا  
يجب تنفيذه بل حكاية عن واقع الحال كقوله : « وهو الذى خلقكم فمنكم كافر  
ومنكم مؤمن » أى لم يخلقكم ليرغم بعضكم على الكفر وبعضكم على الإيمان ،  
بل أن قانون الاختيار سوغ لبعضكم أن يعيش مؤمنا باختياره وللبعض أن  
يعيش كافرا باختياره .

فكان الله — له المثل الأعلى — ملك أمر رعيته أن يخرجوا لاستقباله ،  
فخرج بعضهم فارسا ، وبعضهم راجلا ، فقال : « أنا أعلم أن  
بعضكم يملك ثمن جواد وبعضكم لا يملك » ، ومعلوم أن قوله هذا لا يعنى أن  
الملك أفقر بعضهم دون سبب ، وأغنى بعضا دون سبب .

#### ٩ — والله خلقكم وما تعملون :

يشحن قلبى الما ، الاستشهاد بفقرة من آية ، إذ كثيرا ما سمعت قوما  
يذكرون هذه الفقرة بسياق طلب المعذرة للمنحرفين ، كأنهم يرونه تعالى خلق  
ما يفعلون مما نهى عنه ، متناسين نص الآية الكامل « أفتعبدون ما تنحتون  
والله خلقكم وما تعملون » .

الآية تقص جهاد سيدنا ابراهيم إذ قال لقومه « الله خلقكم وخلق المادة  
التى نقشتموها أصناما فهلا عبدتم يديكم التى نحتت ونجرت » .. ؟

#### ١٠ — زينا لكل أمة عملهم — زينا لهم أعمالهم :

ان الله لا يزين للناس ، الا ما ينفعهم قال تعالى « ولكن الله حبيب اليكم  
الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » .

اعنى أن الله لا يقصد الاغواء بل التخلّى عن المنحرفين لانه تعالى  
لا يخدع ولا يزين سوءا ولا يفوى ، ولا يبدأ أحدا بحرب بل يحبط مؤامرات  
الخداعين والمكرين ومزنى السوء والمفوين والمنحرفين ، ذلك لأن الاغواء مثلا  
إذا أسند لله يعطى معنى الجزاء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « فسوف  
يلقون غيا » أى جزاء ، وعلى هذا الضوء نفهم قوله : « ان كان الله يريد أن  
يفويكم » أى أن يجازيكم بسبب أعمالكم الملتوية .

## ١١ - لن يصيينا الا ما كتب الله لنا :

نصر الله المسلمين يوم بدر ، فكان نصرهم شجى فى حلق اليهود وحلفائهم من سدنة الأصنام ، كما كان تقهقرهم عيدا لدى أولئك اليهود والسدنة .  
نزلت الآيات تنادى « لن يصيينا الا ما كتب الله لنا » لأنه تعالى يكتب النصر للجديرين والكسر لسواهم من أى قوم وعقيدة وديار .  
هذا ما يفوح من أريج هذه الآيات الكريمة ، ولكن المتواكلين أو ذوى النيات المبيتة لا يحبون ادراك هذه الحقائق ، ولذا يضعون تبعة الكسر على الأقدار ، لا على قصورهم وتفريطهم بل وتواطئهم مع العدو ، ويجدون من الآيات التى يفسرونها ( على كيفهم ) دعامة ولو واهية تبرر انحرافهم .  
رأينا فى المفاهيم السليمة صورة أكاد أراها طبق الأصل عما كنا عليه ، فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، ثم غزانا الفهم السسقيم بمعصر الملكيات المطلقة ، وكأن عمر بن عبد العزيز - وقد عاصر طلائع ذاك الانحراف بالمفاهيم - أحس حقيقة خطرهما ، فتحصن بالآيات الكريمة ، وتدرع بالسيرة النبوية وأمر بتعميم نصوص الاختيار ، على مسلمى آسيا وأوروبا وأفريقيا ، مضافة للمفاهيم السليمة حول النصوص التى قد يخالها الضعفاء جبرا .  
مات عمر فتضاعف زحف المفاهيم الملتوية لا سيما بعد فتح باب الترجمة الذى تشرب منه الفث والثمين فأخذت الأمراض تفزونا من مصادر متعددة .

### ١ ( المصدر اليهودى :

الفرنسيون من اليهود لا يرون للانسان ارادة ، ولا اختيارا ولا تأثيرا ولا جزءا كسبيا ، ولذا لا يرونه جديرا بالمدح أو الذم ، لأن الله فعل بيده . . . !  
أما اليهود ( الفروشم ) فقد بالغوا بالاختيار ، وراوا الانسان قادرا على مطلق عمل دون أمر الله أو نهيه .  
أما الثواب والعقاب فلا علاقة لهما بالأعمال لأن الله اختار من الأزل قوما للسعادة وقوما للشقاء .  
هذه الأمراض : الجبر المطلق ، والاختيار المطلق ، وعقيدة السعادة قبل الولادة ، يهودية الأم والأب ، وقد غزانا جرثومها معززا بالأرجاء الذى اخترعه كعب الأحبار ، ولا زال يفتك بنا ، وقد حقق السيد رشيد رضا فى ص ٣٨٤ من الجزء العاشر من طبعة التفسير المنار الثانية ، حقق كذب كعب الأحبار هذا .

### ب ( المصدر النرفانى :

لا بد لنا من الاعتراف بأن فى الهند والصين وفارس مرضى بالجبر ، اذ البرهمية والبوذية والمزدكية حقول تبرره ، وقد اعتنق هؤلاء الاسلام ، وأصبح

بعضهم مؤلفا أو مفسرا ، لذا لم أر عجبا من حبه من ابن صفوان ( أحد أركان الجبر ) إذ أوجد في خراسان ( الأفغان ) أنصارا ، إذ لم يستطيعوا الشفاء من دوائه .

### ج) المصدر اليوناني :

الحرب اليونانية الطروادية الطويلة المدى التي تأججت — ولو في الظاهر — انتصارا للآلهة وحرصا على سيادتهم وأنانيتهم . حملت سواد الناس على التسليم المطلق ( الجبر ) وأرنا بعض من نحترم من الفلاسفة يحمل رأيه وأراقت عليه من فلسفة التقمص والتناسخ المنضية للجبر ولو لحد ما ، سائلا محرقا .

### فرقة الاطفاء ومحامو الدفاع :

#### ١ — أواخر العصر الأموي ومطلع العصر العباسي :

لم تكن ساحة الدفاع يوما خالية ، إذ رأينا جنودا يتدربون بالآيات الكريمة التي تخطط صراط الفضيلة بين نقطتي الجبر والاختيار ، ويستخدمون المنطق وما استقام من الفلسفة أوائل دفاع . حارب هؤلاء قادة الجبر والقدر ( بسكون الدال ) أمثال جهنم بن صفوان وغيلان الدمشقي ، ومروان الجمدي ، ومعبد الجهني ، وحاربوا أساطين التضليل ، أمثال كعب الأحبار اليهودي ، الذي يرتدى تارة ثوب الجبر وطورا ثوب القدر وأنا حلة الأرجاء ليسم الساحة التي يأمل تسميها . . حاربوا وحملوا شعلة المفاهيم السليمة ، فراوا الاختيار المطلق ثوبا حاول الإنسان ارتداه فكلف نفسه فوق الطاقة ، والجبر المطلق محسوا للتكليف وهدما للشريعة وأبطلوا لحكم العقل وإنكارا للواقع . ودعنا آخر القرن الهجري الخامس آخر قافلة من هؤلاء الجنود وفي رأسهم المعتزلة « وهم مخلصون أما ما رأينا بينهم من غلو ، فهو من اليهود الذين زعموا الاعتزال كأحمد بن حائظ الذي لم تخف رائحته عن ذوى الأتوف السليمة » . ودعناه وأنغمسنا في مستنقع التفكك ، وحنينا عنقنا لخطر الجبر بسيادة نظرية الكسب الأشعرية التي فهمها سوادنا جبرا ولو خفيفا .

### راجع :

١ — تفسير المنارج ٥ ص ٦٢٠ و ٦٣٤ و ج ١٠ ص ١٠٦ و ٣٢٧ و ٦١٤ من الطبعة الثانية .

٢ — ابن حزم لأبى زهرة ص ٢٨ و ٢٩ و ١٣٤ من الطبعة الثانية .

## ٢ — فى العصر المملوكى والعثمانى :

تراكمت الظلمات ، لا سيما فى الديار التى حنت عنقها لغزو عمالقة الغرب وأقزام الشرق ، وزاد طينها بلة التطاحن التركى — الفارسى ، الذى مثل دورة السلطان سليم والشاه الصفوى .  
ظلمات كقطع الليل ، حمل مصباح الهداية قبل عصر المعتزلة وبعدهم ، أئمة أهل البيت النبوى ثم ابن تيمية الحرانى وابن القيم الزرعى .  
وقد سار على هديهم نخبة من أقطار القرن الماضى كالسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وخليفته السيد رشيد رضا .  
واقتردى بهم السيد عبد الحميد الخطيب فى كتابه ( الجبر ضلال ومحال ) والدكتور محمد أقبال فى كتابه إعادة الفكر الإسلامى .  
والدكتور خلف الله فى كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ( ص ٥٧ — ٦١ ) .

نعم لا جبر فى الفكر الإسلامى ولئن التمسست عذرا للجبريين من جميع الأمم ، فلن التمسّه : للمسلمين لأن رسول الله شرح فى سيرته ما نتخذّه مصباحا ولن التمسّه للعرب إذ القرآن فى لغتهم ومتناول أيديهم ينادى بالتخيير ويأخذ بيد طالبي الهداية ليريههم فعل نواميس الكون ، ويمنح المسكفين قدرة وأرادة ونقطة اعتدال ، ويدفع غائلة الجبر التى خلقت الجهل والبؤس والتخلف وساعدت على سلب كنوزنا وطرودنا من أكرم ديارنا .

## الاختيار هو الأصل :

هو الأصل وما جاء على أصله لا يسأل عنه يدعمه الآيات وقد نادى به القرآن وأقامه أصلا محكما ولكن بعدنا عن الفهم السليم ، خلق الجبر ، وخيله مشكلة .

والواقع ، لا مشكلة ، بل خيال وسراب تخيلنا وجوده وانحنينا تجاهه وما زال قاتون الوراثة والاستمرار يضخمه حتى تبناه السواد وذوو الجهل المركب وأشهد أن أحد هؤلاء أسر لى قائلا :

الجبر فى قلبى والتخيير فى لسانى ، يعنى أنه ينادى بالاختيار ويعلمه بأن اسناد الخير والشر لله عقيدة لكن ينبغى أن نتأدب مع الله فلا ننسب له الشر ، مع اعتقادنا أنه — تعالى — هو فاعله .. !

وهذا كما يرى القارىء تسمية للأشياء بغير اسمائها الحقيقية كأنه — تعالى — ملك مستبد قتل شخصا ولكن الشرطة السائرين فى موكبه نظموا ضبطا بحق مجهولين ليدفعوا عن الملك السنة أو ثارا محتمل الوقوع ، أو كأننا بما دعونا جبرا ، نعتقد أن الله سرق بأيدينا وجدف بلساننا فآخذنا نقول فى

داخلنا « نعلم أنك انت السارق المجدف الحقيقى ولكننا لا نستطيع البوح خشية قوتك واستبدادك » .

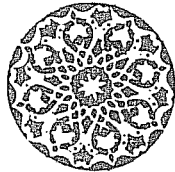
نعم الاختيار هو الأصل وقد ركزه القرآن بآيات كثيرة مثل « فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل : انما انا من المنذرين » سورة النمل ٩٢ .  
هو الأصل ودعامة مسئولياتها ، وقد فهمه الراسخون فى جميع العهود فقال ابن تيمية « للعبد قدرة ومشيئة وعمل فهو مختار مريد » راجع مجموعة الرسائل الكبرى ، الطبعة الاولى ، المطبعة الشرقية بالقاهرة عام ١٢٢٢ هـ ص ٢٧١ .

وقال الفقيه الصوفى الشيخ عبد الغنى النابلسى « الجبريون المعطلون للتكاليف الشرعية ، المسفهون للخطابات الالهية زنادقة هذه الامة » راجع كتابه ( الكوكب السارى ) ص ٦ .

هذا الأصل يرينا الانسان ذا بصيرة وما وصفه بالمحسن والمسيء والشقى والسعيد الا تقريراً لواقع اختاره واراده ونفذه .. !  
مثلاً ، يستطيع أن يتخذ العقل مستشاراً فيسعى فى طلب الرزق ويعلم أن للكفاءة ( مطلق كفاءة ) دخلاً كبيراً ، وأن الانسان يرزق من النافذة التى توجه لها ويحرم من التى أولاها ظهره هذا مع اعترافنا بتأثير العدل الاجتماعى فى واقع الافراد والامم .

هو الأصل الذى عليه يقوم التكليف ولكن الانسان — لغاية فى نفسه — قد يتناسى هذا المنطق فيرى نفسه قدرياً — أى يزعم أن الانسان قادر على كل شئ — أن كلف احداً ، وجبرياً ( زاعماً أن الانسان لا يقدر على شئ أن كلفه احد ) كأنه يتقمص النعمة ( قيل لها احملى فزعمت أنها طير وقيل لها طيرى فزعمت أنها جمل ) .

فيا ايها الانسان اعلن موقفك وارفع علم الجبر أو الاختيار وفارق هذا التطرف غير آسف واراض نقطة الوسط لأنك مختار ومكلف .  
اذ الناس على تفاوت درجاتهم الفكرية مجتمعون على أن الانسان اهل للمدح والقدح ، ومن البدهى أن ما استحق لأجله مدحاً أو قدحاً لم يفعله مجبوراً ولا يخفى أن اجماعهم على تغاير ظروف الزمان حجة قاطعة .. !





**للدكتور : عماد الدين خليل**

« اننى اشعر ان حدثا خطيرا قد وقع حولنا ، إننى أجهل أين انفجر ، ومتى بدأ ، وكم سيدوم ، لكننى أشعر بوجوده ، لقد أخذنا فى الدوامة ، ولسوف تمزق هذه الدوامة جلودنا ، وتحطم عظامنا الواحد تلو الآخر .  
اننى أشعر بهذا الحدث الهائل شعورا لا يضاهيه الا احساس الجرذان المسبق الذى يدعوهم الى هجر مركب على وشك الغرق . لن يكون لنا أى مأوى فى أى مكان من العالم » .

**كونستانتان جيورجيو**

فى رواية الكاتب الرومانى كونستانتان جيورجيو « الساعة الخامسة والعشرون » تبدو أزمة الحضارة الغربية واضحة للعيان ، ان مآسيها تعرض علينا كما لو كنا نشهد معا مسرحية حاضرة : الانسان الذى سلبت حريته وأدخل



فى دوامة من آلية قاسية أحواله الى ( رقيق ) وأفقدته حريته و ارادته الذاتية ، ( المواطنون ) الذين ملأوا الشوارع ودور الحكومة والمؤسسات فى جماعية سحقته كل ما هو فردى ، وتشابيهية دمرت كل امكانية للتنوع والابداع ، وتعميمية محقت كل اتجاه شخصى ، ومادية ردمت كل منابع الحب والايمان فى وجدان الانسان . النظم الصارمة التى أوجدت جحرا خانقا بات لا يصلح للتنفس ، الصراع من أجل تكريس اكثر للآلية ، واستعباد أشد للانسان ، وتحطيم أعنف للقيم وإحكام أقسى للحركة ، وكبت أروع للحرية ..

كل منكم سيصرخ ، بعد مشاهدة منظرين أو ثلاثة من مسرحية الحضارة المعاصرة ... الآن لست أريد متابعة النظر ، لأننى تعبته ، ولأن المشهد طال أكثر من المعتاد ، اننى — اذا استهرت على المشاهدة — فسوف لن أرى إلا الانقراض . سأرى مدنا متهمة ، ورجالا متهمة ، وبلدانا وكنايس وآمالا كلها متهمة — محطم — ( ص ٥٠٨ — ٥٠٩ ) .

ولكن علينا — نحن كمسلمين مسئولين أمام الله والبشرية — ان نملك اعصابنا ونرغم أنفسنا على البقاء حتى النهاية لمشاهدة المأساة ، ولكى نستطيع ان نحيط برؤيانا أبعادها ، وننقب — من ثم — عن التيارات الظاهرة والخفية التى تسوقها الى مصيرها المؤلم الحزين . ولكى نقول لهم — بعد كل هذا — ان الطريق الوحيد للخلاص هو : هذا .. اذا أردتم ان لا تبلغ المأساة نهايتها !! ان جانبنا من الأدب الغربى اليوم — وبخاصة الرواية والمسرحية — يشكل أهمية كبرى فى أية دراسة جادة للحضارة الغربية المعاصرة ، لانه يعكس بحوية نائقة الأزمة التى تعانىها هذه الحضارة ، والضغوط القاسية التى تسلطها على الانسان فتسحقه وتمزقه . ان ردود الفعل التى يجابه بها الانسان الغربى المعاصر حضارته المتأزمة هذه ، تبدو واضحة حية ، متحركة ، عبر عدد كبير من الروايات والمسرحيات التى كتبها أدباء وفنانون كبار أدركوا جوانب عميقة من الأزمة ، وكلهم بلغ درجاتها الدنيا ، وجاس فى سراديبها وكهوفها ، وما أن وصل بعدها الأخير حتى غطاه الظل وأغرقه الظلام .. فهل ننتظر نحن منه أن يجد لنا مصدر الضوء ، ويدلنا على طريق الخروج ؟؟

ان ما تقدمه لنا هذه الآداب والفنون يقتصر على الخطوة الأولى : تحديد ملامح المأساة . أما الخطوة التالية التى ترسم لنا طريق الخلاص ، فما ينتظر من هؤلاء أن يتقدموا اليها لأنهم ليسوا ( على شريعة من الأمر ) وهى خطوة تلقى مسؤوليتها العظمى على أعناق أولئك الذين حملوا أمانة ( الكتاب ) بعد أن اشفقت السماوات والارض من ثقلها العظيم ..

ان كل ساعة تمر على تاريخ الأرض ، تقترب بالبشرية من مصيرها الفاجع لان قيادتها انتقلت منذ زمن بعيد الى الانسان الغربى سواء الذى يقطن فى أوروبا الغربية وأمريكا ، أم الذى يقطن فى روسيا واليابان . ولم تشهد الأرض احتكرا أشد للقيادة البشرية والحضارية ، من هذا الذى تشهده الآن .. ان نداءات شتى للتحذير أطلقت منذ أن بدأ يتكشف — لذوى البصيرة — المصير المحتوم لحضارة

تقودها قيم ومفاهيم لا تنسجم أساسا وكيان الانسان، وانها بهذا تسلط عليها ضغوطا ساحقة تضعف الأجيال بعد الأجيال ، ولا تتيح لها الاستعداد الكافي للقيام بأعباء الحضارة وتولى مسؤوليتها الثقيلة .. نداءات أطلقها كثيرون : أطباء وعلماء نفس واجتماع وفلاسفة ومؤرخون ورجال دين ولاهوت .. تداعوا من كل حذب وصوب ليؤكدوا بأن على الحضارة المعاصرة أن تغير طريقها، وان تنعطف بمكتسباتها الهائلة الى طريق جديد يحفظ لها تراثها الذى هو حصيلة كدح شاق طويل للبشرية جميعا .

واليوم يتقدم أدباء وفنانون من شتى أقطار الأرض ليمثلوا عن مزيد من التحذير ، وليضعوا على طريق السقوط مزيدا من علامات الخطر .. أدباء وفنانون من شتى أقطار الأرض يصرخون منددين بالقيادة الضالة والبشرية المنكودة . وها نحن نجد هذا التحذير فى القصيدة والأغنية ، فى القصة والموسيقى ، فى الرواية والمسرحية .. وهذه الصرخات تذهب كلها عبثا ويضيع صداها فى الأفق البعيد ، ويختفى معها قائلوها الآن ( الرجال الذين يتألمون لانهايار الحضارة الأجنبية ، ينهارون ويختفون معها تماما ، وان أولئك الذين لا يشاهدون غير ذلك الانهايار فحسب يلبثون غرباء عن المأساة .. ويعتبرون مجانيين .. ان أوروبا تعتبر اليوم كل رجل بلغ ذروة الألم الفكرى ، وحدوده القصوى مجنونا ) ( ص ٥١١ ) . والبشرية المنكودة تسير وراء قيادتها الى مصيرها المحزن ، والحضارة المعاصرة تركض ساعة بعد ساعة صوب نهايتها .

وها هى اليوم تبلغ ساعتها ( الخامسة والعشرون ) ( اللحظة التى تكون فيها كل محاولة للانقاذ عديمة الجدوى .. ساعة المجتمع الغربى ، انها الساعة الحاضرة — ص ٨٨ ) .

لماذا ( الساعة الخامسة والعشرون ) ؟ جيوروجيو يجيبنا على هذا السؤال ( ان الجوبات لا يصلح للتنفس .. ان الجوبات خائفا .. الجو الذى يعيش فيه المجتمع الحاضر . ان الكائن البشرى لن يستطيع احتماله . ان البيروقراطية والجيش والحكومة والتنظيم الحكومى والادارة ، كل هذه الأشياء تساهم فى تسميم الجو ليختنق الانسان . ان المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقائق المنصرى . لقد خلق من أجلها . ولكن الانسان محكوم عليه بالاختناق . غير أن بنى الإنسان لا يشعرون بذلك . إنهم يصرون على أن كل شيء طبيعى ، كما كان فى السابق .. لقد وضعت فى روايتى الطريقة التى يموت بها رجال هذه الأرض الذين يحيون فى عذاب مريع وقلق قاتل ، تخنقهم الأجواء غير الصالحة للحياة ( ص ١٨٥ ) .

والآن لنبدأ مع جيوروجيو رحلته الطويلة عبر منعطفات الطريق الحضارى ومجاريه ، وهى تجرف القيم صوب البحر ، وتندحر بالحضارة الى الهاوية ، خطوة .. خطوة .. مع ( جيوروجيو ) وهو يستبطن خلفية هذه الحضارة ويتوغل الى أعماق الانسان . وليعذرني القارئ إن نقلت نصوصا طويلة من هذا الكتاب ، فهى ذات أهمية كبيرة لأنها تمثل شواهد انسان عاش الحضارة المعاصرة وأدرك

اغوارها .. شواهد حية ضد القيادة التى تسير بالبشرية وحضارتها صوب  
الدمار .

— ١ —

ان التقدم التكنولوجى الذى أحرزته الحضارة الغربية لم توجهه قيم الدين  
يوما ، بل انه انطلق أساسا وأخذ طريقه يوم أعلن العلم انتصاره على الدين —  
أو هكذا يتوهمون — فلا نعجب اذن اذا ما تضاعل الانسان يوما بعد يوم ازاء هذا  
التضخم الآلى ، لأنه فقد الايمان بكرامته ، وغض بصره عن التطلع الى قيم  
علوية ، وسجد للآلة ، ولأول مرة يقدم كاتب غربى تحليلا رائعا يتميز بالجودة  
والحيوية لهذه العلاقة غير المتكافئة بين الانسان والآلة ، والتى تمثل التهافت  
الأول فى عصب الوجود الغربى والتى نشأ عنها ما يطلق عليه الكاتب عبارة :  
الرقيق التكنى : ( الخادم الذى يقدم لنا يوميا الف خدمة لم نعد نستطيع الاستغناء  
عنها ، انه يدفع سيارتنا ويعطينا النور ويصب لنا الماء لنقتسل ، ويحمل لنا  
مخابراتنا ورسائلنا ويروى لنا قصصا لتنتسلى عندما ندير زر الذراع . انسه  
يخطط لنا الطريق ويزيل الجبال من أمامها ) ( ص ٧٨ و ٧٩ ) .

ومن ثم يقدم الكاتب مقارنة طريفة بين الرقيق البشرى فى العصور القديمة  
وبين الرقيق التكنى فى المجتمع العصرى : ( كان الاول هو الآخر ، معتبرا عند  
اليونان والرومان كالقوة العمياء عديمة الاحساس ، كانوا يبيعون الرقيق ويشترونه ،  
ويقدمونه هدايا ويقتلونهم ، فكانت قيمته تتناسب دائما مع قوة عضلاته وامكانياته  
العملية . لقد كان الأمر فى ذلك الحين مشابها تماما للمقياس الذى نستعمله  
اليوم فى تقدير الرقيق التكنى . . لقد برهن الاخير على أنه أكثر طواعية وأقل  
ثمنا من الرقيق البشرى ، فراخ تدريجيا يحل محل سلفه من بنى الانسان  
( ص ٧٩ و ٨٠ ) .

ولكن العبيد التكنيين ما لبثوا ان غطوا مساحات واسعة من الأرض بفضل  
تفوقهم العددي الساحق ، وأخذوا يسيطرون اليوم على النقاط الحيوية فى  
المجتمع العصرى واتضح خطرهم ( وبعبارة عسكرية فنية نقول ان الرقيق التكنى  
يقبض بين يديه على النقاط الاستراتيجية فى مجتمعنا من جيش وخطوط مواصلات  
وتأمين وصناعة . . وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم الوفا من ( البروليتاريا ) —  
اذا كنا نعننى ذلك فان الكلمة : جماعة ما فى مجتمع خلال فترة تاريخية ، جماعة  
لم تدخل بعد فى صميم المجتمع — وعلى ذلك فان مصير هؤلاء العبيد التكنيين موقوف  
بأيدى البشر ، وهذه البروليتاريا التكنية ستثور يوما دون أن تستعمل الحواجز  
والسدود كما كان يستعمل من قبل الرقيق البشرى . وان العبيد التكنيين يشكلون  
اليوم أكثرية عددية ساحقة فى المجتمع الحاضر . . انهم يتصرفون فى هذا المجتمع  
وفق قوانين خاصة مختلفة عن قوانين البشر . ولن أذكر من هذا القوانين الخاصة  
بالعبيد التكنيين إلا الآلية والمماثلة واغفال الذات ( ص ٨١ — ٨٢ ) .

أما كيف ستتم سيطرة العبيد التكنيين ( أو القوى الآلية ) على مقدرات  
الانسان ، فجوابه ( ان مجتمعنا فيه عشرات المليارات من العبيد التكنيين وحوالى  
مليارين من البشر ، حتى ولو كان هؤلاء يسيرونه فانه ستسوده أكثرية بروليتارية

.. ان تأثيرها يتزايد يوما بعد يوم . والانسان مرغم على معرفة عاداتهم وقوانينهم وتقليدها ليستطيع استخدامها والافادة منهم . وكل مستخدم مرغم على معرفة لغة مستخدميه وعاداتهم ليصدر اليهم أوامره وليستخدمهم . وقد جرت العادة أبدا على أنه اذا كان المحتل أقل عددا من الأمة التي يحتلها فإنه يرغم على اعتناق عادات تلك الأمة وتعلم لغتها بسبب المنفعة والمصلحة وسهولة التفاهم، انه يرغم على ذلك رغم أنه محتل وسيد شديد البأس. ان مثل هذه النظرية يتتابع تضخما وانتشارها ضمن محيط مجتمعنا رغم أننا نأبى الاعتراف بها .. وهكذا فإننا سنتخلى يوما ما عن انسانيتنا ، ونتبع اسلوب الحياة المطبق على عبيدنا التكنيين .. وستكون دلالة هذا التخلي عن الانسانية احتقار الكائن البشرى . ان الرجل المصرى يعرف انه وزملاءه من بنى الانسان ليسوا أكثر من عناصر يمكن استغلالها . والمجتمع الحديث الذى يحوى على رجل واحد مقابل كل ثلاثين عبدا تكتفى ينبغى أن ينظم وأن يعمل حسب النظم التكنية لأنه مجتمع خلق وبنى على احتياجات ميكانيكية وليست انسانية . وهنا تبدأ الفاجعة ، ان المخلوقات البشرية مرغمة على الحياة والتصرفات وفق قوانين تكنية غريبة عن القوانين الانسانية . وأولئك الذين لا يحترمون قوانين الآلة التى تتساوى مع القوانين الاجتماعية يعاقبون . والكائن البشرى . الذى يعيش فى أقلية يصبح مع الوقت أقلية ( بروليتارية ) فيحذف اسمه من المجتمع الذى ينتمى اليه ، والذى لا يمكن أن يعود اليه إلا بعد التخلي عن طبيعته الانسانية فينجم عن ذلك شعور بالدونية ، ورغبة فى تقليد الآلة ، والتخلي عن صفاته الانسانية المميزة التى تبقيه بعيدا عن أوساط النظام الاجتماعى .. ان هذا التحول البطيء سيقلب الكائن الحسى ، وسيجعله متخليا عن احساساته وعلاقاته الاجتماعية ، ويجعلها محصورة فى حدود ضيقة واضحة الآلية تماما، كذلك العلاقات التى تجمع بين قطعة آلة وأخرى. ولسوف يقلد البشر فى علاقاتهم الاجتماعية وفى الإدارة وفنون النقش والرسم والادب ، وفى الرقص ، الأسلوب واللغة الخاصين بالرقيق التكنى . وستصبح المخلوقات البشرية ببغاوات العبيد التكنيين . غير أن هذا ليس الا بداية الفاجعة ) وما هى الفاجعة الحقيقية اذن ؟ ( هنا تنفجر المأساة لأننا لا نستطيع أن نتحول الى آلات (!) ) غير أن الاصطدام بين الحقيقتين : الحقيقة الآلية والحقيقة البشرية، قد وقع ولسوف يربح الرقيق التكنى الحرب، سوف يستبد ويصبح مواطننا آليا فى مجتمعنا . أما نحن — الكائنات البشرية — فنصبح بروليتاريا ( أقلية ) فى مجتمع منظم حسب حاجات وعادات الأكثرية الساحقة من المواطنين الآليين ( ص ٨٢ — ٨٤ ) .

بعد هذا يوضح لنا جيورجيو بأسلوب مؤثر ، كيف سيضيع الانسان وسط هذا التراكم فى الآلات ، وكيف أنه سيتحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية ، وعلى الرغم من أن المجتمع الانسانى سيجد آنذاك وسائله الترفيهية إلا أنه سيفقد أرضا بورا لا تنتج العباقة ، وبدون هؤلاء تتمرغ الحضارة بالتراب ( ان كل

الأحداث التى تدور الآن على الكرة الأرضية والتى ستقع خلال السنوات المقبلة، ليست إلا بتأثير تلك الثورة ومراحلها : ثورة العبيد الآليين . ان الرجال لن يستطيعوا بعد ذلك أن يحيا فى مجتمع يحتفظون فيه بطابعهم البشرى . سوف يعتبرون متساوين ومتشابهين مع الرقيق الآلى ، وسيعاملون وفق القوانين المطبقة عليه ، دون مراعاة طبيعتهم الانسانية ستحدث توقيفات آلية وأحكام آلية ، وتسليحات آلية ، وقتل آلى لن يكون للمرء حق فى الحياة بل سيعامل وكأنه مكبس أو قطعة آلة . حتى اذا شاء أن يعيش عيشة انسانية تعرض لسخرية العالم بمجموعه ) ( ص ٨٤ و ٨٥ ) .

هل رأيت — يتساعل جيورجيو — فى حياتك مكبسا يعيش حياة شخصية ؟ ما أروعه من سؤال يجيب عن نفسه ( !! ) ثم يستأنف المؤلف طرح نذره ( أن هذه الثورة ستحدث على سطح الأرض كلها ، ولن نستطيع الاختفاء منها لا فى الغابات ولا فى الجزر ولا فى أى مكان . لن تستطيع أمة فى العالم أن تحمينا ( !! ) سوف تتشكل جيوش العالم كله من مأجورين يناضلون ويكافحون من أجل تدعيم المجتمع الآلى الذى لن تعيش فيه الفردية . ولعل هذا العصر هو الفترة الأكثر ظلمة فى تاريخ البشرية . اذ لم يحدث لحد الآن ان احتقر الانسان الى هذا الحد . . والحياة البشرية لم تعد لها من قيمة الا بوصفها مصدر حركة . والقياسات أضحت علمية محضة ، وهذا هو قانون بربريتنا الآلية المظلمة ، وسوف نصبح بعد النصر الكلى عبيدا آليين ) ( ٨٥ و ٨٦ ) .

لن تستطيع أمة فى العالم أن تحمينا ( !! ) وهذه هى النتيجة المحتملة لسيطرة القيم الغربية على كل أقطار المعمورة . صحيح أننا فى الشرق لا زلنا متأخرين ولا زالت هنالك مساحات واسعة من حياتنا الاجتماعية بعيدة عن تغطية الآلة . الا اننا — على أية حال — نصدر — وهذا هو المهم — عن الفلسفة التى يصدر عنها الغرب . ويتضاعف الخطر لدينا ويغدو خطرا مزدوجا لان نظرتنا الى التكنولوجيا يسودها تقديس أشد للعلاقات المادية بدافع من شعور عميق بالنقص انزاء هذه الحضارة .

لن تستطيع أمة فى العالم أن تحمينا ، فالقضية ليست قضية مواقع جغرافية أو لون على الخارطة السياسية أو أعلام متميزة ترفرف فى أعالي السماء ، وانما هى الفكرة ، التصور ، العقيدة التى يصدر عنها المجتمع فهى التى ستجعل للموقع الجغرافى قيمته الحقيقية فى حماية الأمم المهزومة ، وهى التى ستعطى للون مواده الثابتة التى لا تحول وهى التى ستجعل الرايات الخفاقة فى الاعالى نداء قدسيا يربط الأرض بالسماء ، ويفتح ذراعيه للمتعبين المنكودين ، ويعدهم بكل ما أفقدتهم اياه سيطرة العبيد التكنيين .

ولنرجع الى جيورجيو ، بعد أن قلبنا اعيننا فى أقطار الأرض ، فلم نر أمة واحدة تصدر عن عقيدة تحمى بها القيم الانسانية من الزوال ، لنرجع الى الشاهد لنرى ماذا يقول . . ( طالما ان الانسان قد تحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية

— اجتماعية — فانه يمرض للاصابة بأى شىء — يمكن أن يوقف وأن يرسل للقيام بالأعمال الشاقة ، أو أن يستأصل عرقه ، أو أن يرغم على مزاوله أعمال معينة سواء لواحد من مشاريع السفين الخمس أو لتحسين العرق أو لأهداف أخرى ضرورية للمجتمع الآلى دون أى اعتبار لشخصية المجتمع التكنى يعمل — حصرا — تبعا لنظرية تكيفه مستعملا المجردات ، الخطط فقط ، مستهدفا معيارا واحدا فقط هو الانتاج .. لن يبقى رجل واحد حرا على سطح الأرض . ان الانسان سيصبح مغلولا خلال سنين طويلة فى المجتمع التكنى .. لكنه لن يموت فى الاغلال . ان المجتمع التكنى يستطيع ابتداء رفاهية لكنه لا يستطيع خلق الفكر ، وبدون الفكر لا توجد العبقريه . وان مجتمعا محروما من رجال عباقرة مقضى عليه بالفناء . ان المجتمع التكنى الذى يحل محل المجتمع الغربى والذى سيكتسح سطح الأرض كله سيفنى هو الآخر : ان اينشتاين يؤكد انه يكفى انقطاع جيلين متتابعين فقط فى خط العقول المتفوقه المباله بصورة خاصة للعلوم الطبيعية ، لكى تنهار كل المشيدات القائمة على هذا العلم ) ( ص ٨٦ و ٨٧ ) .

ولنستمع — من ثم — الى حوار داخلى لانسان يقف بخضوع امام الآلة ، ملغيا وجوده الباطنى من الحساب ( لا يسمح لك التفكير بأى شىء آخر وإلا فإن الآلات تعاقبك على الفور . ان كل انتباهك ينبغى أن يكون موجها نحو زميلك الآلى ذلك العامل المجد الذى يأتىك بالصندوق ويده اليك وعليك أنت أن تحنى وتأخذ الصندوق من يديه .. ان الانسان الآلى لا يمكنه ان ينطبع برغبة الانسان . فعليك إذن أن تساير رغباته وتوازن حركاته من حركاتك — ان هذا طبيعى جدا لانه هو العامل الكامل .. أما أنت فأنك لست كاملا .. ان الآلات تملك الترتيب والنظام والكمال ، فاذا حاكيتها غدوت عاملا من الدرجة الأولى ) ( ص ٢٤٠ و ٢٤١ ) .

وهذا منولوج آخر يعبر فيه بطل الرواية : ( مورتيز ) عن يأس كامل فى الحرية ازاء آلية لا تسمع ولا ترى ( ان كل شىء يتحقق آليا ، وكل شىء يسير بالكهرباء .. وأنت ( !! ) انك فى صميم آلة جبارة ، فمهما بذلت من مجهود وتحركت وناضلت فلن تخرج منها . ان الآلة صماء ، انها لا تسمع ولا ترى ، بل تعمل فقط .. انها تعمل عملا مدهشا تبلغ فيه الكمال الذى لا يستطيع الانسان بلوغه أبدا .. ان الآلة لا تنسى كما ينسى المخلوق البشرى ، انها دقيقة .. ( ص ٤٤٣ و ٤٤٤ ) .

وما هى النتيجة ؟ ( كان مورتيز يشعر بأن كيانه يذوى كالفصن المحروم من الرى . كان اذا ما أوى الى فراشه — مساء — يشعر باحساس غريب يخيل اليه انه ينحنى ويلتقط صندوقا . واذا نهض من سريره صباحا شعر كأنه انتصب فى تلك اللحظة بعد أن أودع الصندوق فى العربة وباتت يده فارغتين فترة بانتظار وصول الصندوق التالى — كان نومه خلوا من الأجلام — أما جبينه وعينه فقد غشيها الاكتئاب والقلق — لقد اتخذ لون الآلة وليس لون الأرض ) ( ص ٢٤٩ ) .

**للبحث صلة**

# الاسلام

## والشرايع السابقة

للشيخ محمد محمد الشرقاوى

النبى صلى الله عليه وسلم : « قلت يا رسول الله كم الانبياء ؟ قال : مائة الف وعشرون الفا .. قلت : يا رسول الله .. كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا .. قلت : من كان اولهم ؟ .. قال : آدم : قلت : يا رسول الله .. انبى مرسل ؟ .. قال : نعم » (١) .

فالدين كلمة عامة ينطوى فيها ما يدعو اليه الاسلام من الايمان بالاصول العامة ، والتصديق الجازم بالمقائد الالهية والغيبية المشتركة من وحدانية لله وعرفان بصفاته الكاملة وبملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والتسدر خيره وشره ، حلوه ومره ، مع ما يكمل ذلك من شريعة توضح للناس مسالكهم على دروب الحياة العملية ، واخلاق تنمى علاقتهم الشخصية

دين الله تعالى واحد لا يتجزأ ، وهدفه الاسمى محدد لا يقبل التخالف أو الخلاف ، فالدين ايمان وعمل ، والهدف : عبادة الله بالباقيات الصالحات ، وهذا هو المحور الاساسى المشترك بين كافة الشرائع والرسالات والحجر الاول فى صرح الروحانيات القائمة على المبادئ الفاضلة ، والقيم السامية ، .. من لدن آدم عليه السلام حين تفجرت بظهوره أول رسالة سماوية تستهدف هداية الانسان الى الطريق الامثل ، وحياته من طغيان الهوى والنفس ، الى أن ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .. الذى التقت بدعوته الجامعة نقطتا البدء والنهاية فى حلقة الديانة الحقنة .

.. أخرج ابن حبان فى صحيحه وغيره من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن





لله مسلمون » (٤) أى أنهم لو شهدوا يعقوب حال نزول الموت به ، ووداع الحياة له ، لشهدوا توافقه مع أبنائه على وحدة الدين ووحدة الخالق واعتناق الإسلام الذى هو ملة الله الأزلية الأبدية الدائمة السرمدية التى لا يقبل سواها ، ولا يعتد بدونها « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . . « أن الدين عند الله الإسلام » .

ومن هنا يبدو جلياً أن الإسلام ليس ديناً خاصاً بأمة دون أخرى ، وليس دعوة عنصرية أو انعزالية تعيش بمنأى عن الأديان والشرائع التى تقدمتها ، وتتخذ لنفسها سياجا انطوائياً . . انما الإسلام فى معناه الأشمل هو الجانب الأخير المكمل لما سبقه من جوانب أخرى من رسالات الله الى البشر . . تضافرت كلها على اخراج وحدة دينية متكاملة . . ساهم فيها كل رسول بقدر ، وشاركت فيها كل رسالة بجهد ، وقد استغرق أعداد هذه الوحدة الدينية الجامعة الزمان كل الزمان ، من عهد آدم أبى البشر الى حفيده الخاتم للرسالات والنبوات محمد عليهما الصلاة والسلام وهو الذى أتم البناء وأكمل الأداء على أحسن ما يكون الوفاء « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » وفى حديث للبخارى فى صحيحه تصوير صادق لهذا التوافق التام بين الرسالات كلها وفيه يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته ورسالة من تقدمه : « برجل بنى بيتاً فأكمله وزينه الا موضع لبنة ، فجعل الناس

والاجتماعية ، وحدود تزجر الخارجين منهم على قانون السماء وبهذا دان الله تعالى الأمم ، وساس الانسانية كلها على اختلاف مدارجها زماناً ، بواسطة أنبياء مرسلين كانوا همزات وصل بين الخالق والمخلوق بدون تضاد فيما بينهم فيما هو جوهرى من الرسالات وفى هذا يقول القرآن الكريم : « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٢) أى أن ابراهيم ويعقوب عليهما السلام قد حملا أبناءهما وصية التمسك بالدين الواحد المعبر عنه فى الآية السابقة على هذه الآية : « اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » يقول الكشاف (٣) فى تفسير « اصطفى لكم الدين » أى أعطاكم صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفتكم للأخذ به فلا يكن موتكم الا على حال الثبات على الإسلام . . فالنهي فى الحقيقة انما هو عن كونهم على خلاف الإسلام اذا ماتوا ، لظهار أن موتهم على خلاف الإسلام موت لا خير فيه ، وأن من حق هذا الموت ألا يحل فيهم . . كما تقول : مت وأنت شهيد ، وليس المراد الأمر بذات الموت بل بصفة الشهادة حين الموت اعتداداً بموت الشهداء وانها جديرة بأن يحث عليها ، وكان اليهود يزعمون أنه ما من نبي مات الا وهو على اليهودية . . فكذبهم الله تعالى بقوله : « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن





يطوفون به ويمجبون ويقولون : لولا هذه اللبنة .. فأنا اللبنة » .  
وبهذا تأكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل نبي مع من تقدمه أو تأخر عنه كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا وأنهم جميعا على اختلاف أزمانهم وأقوامهم يشكلون صفًا واحدًا متماسكًا في مواجهة التحديات الضالة المضلة ، وفي قيادة الانسانية الى الطريق المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ، وشرف الحياتين .. وقد ذكر القرافي (٥) : أن الرأي المختار عند الحنفية والمالكية والشافعية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته كان متعبدا بكل ما ثبت عنده بطريق العلم أنه شرع نبي من الأنبياء ، وبهذا كان مصدقا لما بين يديه من الشرائع السابقة له .. أخذًا منها ما لم ينسخه هو في شريعته الأخيرة ، على أن النسخ في هذه الأحوال لا ينافي تصديقه للرسالات الأخرى ..

فالتأخر منهم مصدق لمن تقدمه ، والمتقدم منهم — لو كان حيا — مصدق لمن جاء بعده من الرسل ، فلا يكون بين هؤلاء الاخوة المرسلين أدنى تعارض أو تخالف ، أو تضاد .. وفي الحديث : « الأنبياء أبناء علات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى » وقد عبر عن ذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله : « لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي » (٦) .

فكل الشرائع السابقة قد صارت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم شريعة محمدية باعتبارها ميراثا دينيا انتهى الى محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » والميراث ملك للوارث مختص به ، وفي آية أخرى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٧) لكن لما دخل التحريف في كتبهم وتلاعبت الأهواء والأغراض بأهدافهم شرط العلماء للاعتماد على كتبهم المتقدمة واندماجها في شريعتنا أن يقص الله تعالى علينا شرائعهم من غير نكير ، أو تثبت ببيان صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بدون أن يعقبها تأقيت أو نسخ (٨) .. وأما قوله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٩) فمعناه أن لكل أمة شريعة عملية تناسب زمانها ومكانها وأحوالها ولكنها قابلة للنسخ إذا انتقلت الى أمة أخرى ذات نبي آخر له ظروف وأحوال مباينة .. فإذا انتقلت ودخلها نسخ لبعض





اسرائيل فى التوراة أن النفس بالنفس  
.. فلولا أننا متعبدون بها فى التوراة  
مما لم ينسخ ، لما صح الاستدلال بهذه  
الآية على إيجاب القصاص فهذه الآية  
الكريمة مثبتة للقصاص فى الأنفس  
فى شريعتنا كما كانت مثبتة كذلك عند  
أهل التوراة .. ما هذا الا لأن  
الشرائع متداخلة فى بعض أبعاضها  
بحيث يكمل بعضها بعضا ، ويصدق  
بعضها بعضا .

« ٣ » روى مسلم فى صحيحه أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « إذا رقد أحدكم عن الصلاة  
أو غفل عنها ، فليصلها إذا ذكرها  
فإن الله يقول : « **أقم الصلاة لذكري** »  
وهذه الآية القرآنية موجهة أساسا  
الى موسى عليه السلام كما حكي ذلك  
القرآن الكريم « **فلما أتاهم نودي  
يا موسى . أنى أرىك فاخضع نعليك  
أنك بالواد المقدس طوى . وأنا  
اخترتك فاستمع لما يوحى . أننى أنا  
الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة  
لذكري** » (١٢) .. ومع ذلك استدلت  
بها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه  
على وجوب قضاء الصلاة التى نام أو  
غفل عنها تاركها إذا ذكرها .. فلو  
لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم  
وأمة متعبدين بذلك فى شريعتنا لما  
صح الاستدلال بها ، ولما كان لتلاوتها  
فائدة تذكر .

« ٤ » ومع أن شرائع من قبلنا لم  
تذكر فى حديث معاذ بن جبل حين  
أرسله النبى صلى الله عليه وسلم  
الى اليمن وقال له : « كيف تصنع إن  
عرض لك قضاء فقال : أقضى بها فى

الأحكام وابقاء للبعض الآخر مع ما  
يضيفه النبى الجديد من أحكام أخرى  
ملأثة كانت هذه الخلاصة شرعة  
ومنهاجا لهذا النبى المتأخر .. وهكذا  
تتوالى النسخ والتعديلات على  
الشرائع العملية مع بقاء الأصول  
الثابتة كما هى بلا تعديل ولا تحوير ،  
حتى تنتهى فى مسارها الحافل الطويل  
الى الشريعة النهائية التى لا يلحقها  
بعد ذلك نسخ ولا تبديل وهى شريعة  
نبى آخر الزمان محمد صلى الله عليه  
وسلم فتكون بمجموعها عبارة عما لم  
ينسخ من كل الشرائع السابقة مضافا  
اليها الجديد فى رسالة محمد عليه  
الصلاة والسلام ومن كل هذا وذاك  
تتكون شريعة « الإسلام » .  
وقد استدلت العلماء على ذلك بما  
نجمه فيها يأتى :

« ١ » ليس من الحكمة أن يبقى  
الناس سدى مهملين بلا أوامر ولا نواه  
فى زمن ما .. فكل من تأهل للتكليف  
من الناس وبلغه ما جاء به نبى من  
الأنبياء بطريق يقينى فهو مكلف به  
وهذا لا يعنى عموم رسالة كل نبى ،  
لأنها قابلة للتغيير بظهور نبى آخر  
ويعدم عمومها حين نسخها ومعنى  
ذلك أنه لا توجد فجوة لا دينية فسى  
التاريخ ويكون أهل الفترة هم الذين  
لم تبلغهم رسالة نبى بطريق يقينى  
العلم (١٠) .

« ٢ » أجمع العلماء على الاستدلال  
بقوله تعالى : « **وكتبنا عليهم فيها أن  
النفس بالنفس** .. » (١١) ، على  
وجوب القصاص فى شريعة محمد  
صلى الله عليه وسلم ، والآية الكريمة  
تعنى أن الله تعالى أوجب على بنى





ومعد ،

فقد ظهر من هذا العرض الوجيز أن شريعة الاسلام حلقة فى سلسلة الرسائل السماوية المتعددة ، وأنها متصلة بالشرائع والديانات السابقة اتصالا عضويا متكاملا ، وأنها تمثل الحجر الأخير فى بناء تام لا ينقصه الا هذا الحجر النهائى وأن هذا البناء الشامخ من رسالة السماء يشكل فى مجموعه دين الله الواحد الذى لا يتجزأ .

بيد أن شريعتنا تصرفت فى احكام الفروع التى اشتملتها الرسائل السابقة فأبقت ما صلح منها للبقاء والاستمرار ، ونسخت ما ظهرت نهايته ، وانتهى امده المقرر له عند الله حسب التطور الكونى العام وفق ما أراد الله تعالى لأنبيائه ورسالاته . . ولذا كانت الشرائع السابقة على شريعتنا تلزمتنا على أنها شريعة لنا من حيث كانت شريعة لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تنسخ ، قال صاحب التلويح ( ١٤ ) : « وهذا مذهب أكثر مشايخنا منهم أبو منصور والقاضى الإمام أبو زيد ، وشمس الأئمة وفخر الاسلام ، وعمامة المتأخرين ، وأن خالف فى ذلك المعتزلة فأحالوه عقلا ، كما خالف فيه الإمام الرازى والامدى وأحالوه شرعا » .

كتاب الله ، قال : فان لم يكن فى كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله قال : اجتهد رأيى لا آلو . . فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله « (١٣) أقول . . ليس خلو حديث معاذ هذا من التعرض للشرائع السابقة دليلا على عدم اعتبارها فى أسس التشريع الاسلامى لأن هذه الشرائع فى الحقيقة مذكورة ضمنا فى ثنايا القرآن الكريم بمثل قوله تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » أو لأن هذه الشرائع قليلة نسبيا اذا قيسست بالجديد فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلذا لم تفرد بالذكر فى حديث معاذ الذى تضمن موافقة الرسول عليه ، ورضاه به .

«٥» والقول بأن شريعتنا ناسخة لما تقدمها من الشرائع ليس على إطلاقه . . بل هى ناسخة لما خالفها من الأحكام ، لانا نقطع بأن النسخ معدوم فى الإيمان والكفر وغيرهما كالزنا ، والقصاص .

- |                                  |   |
|----------------------------------|---|
| (٨) التوضيح ج ٢ : ٢٧٧            | (١) التحرير للكمال بن الهمام ج ٢ ص ٢٠٨    |
| (٩) المائدة : ٤٨                 | (٢) البقرة : ١٣٢                          |
| (١٠) التحرير ج ٢ : ٢٠٩ .         | (٣) تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ : ٧٥        |
| (١١) المائدة : ٤٥                | (٤) البقرة : ١٣٣                          |
| (١٢) طه : ١١ - ١٤ .              | (٥) التحرير ج ٢ : ٢٠٨                     |
| (١٣) تاريخ التشريع الاسلامى : ٨٠ | (٦) التوضيح ج ٢ : ٢٧٧ وما قبلها وما بعدها |
| (١٤) التوضيح ج ٢ ص ٢٧٦           | (٧) المائورى : ١٣                         |





### للإسناد : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

وضرب صدر معاذ وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » ، فهذا ارتياح من الرسول صلى الله عليه وسلم لما رآه من معاذ ، من أخذ بالقياس ، والاعتماد على الاجتهاد ، الذى هو بذل الجهد فى استخراج الحكم .

فولاه معاذ بن جبل لكتاب الله تبارك وتعالى ، ولسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، لا يحجب عقله عن متابعة رؤاه : ولا يحجب عن عقله تلك الحقائق الهائلة التى تنتظر من يكتشفها ويواجهها .

ولعل هذه القدرة على الاجتهاد ، والشجاعة فى استعمال العقل والذكاء ، هما اللتان مكنتا معاذاً من ثرائه الفقهى الذى فاق به أقرانه وأخوانه ، وصار كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعلم الناس بالحلال والحرام » .

وروى سعيد بن المسيب — رضى الله عنه — عن على بن أبى طالب —

يعد الاجتهاد المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامى ، بعد كتاب الله تبارك وتعالى : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويؤيد هذا ما رواه معاذ بن جبل — رضى الله عنه — من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله حينما وجهه إلى « اليمن » بقوله : « كيف تصنع أن عرض لك قضاء ؟ » ، فأجابه قائلاً : « أقضى بما فى كتاب الله » ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : « فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ » ، فقال معاذ : « أقضى بسنة رسول الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ » ، فقال معاذ : « اجتهد رأيى ، لا آلو » ، فتهلل وجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه

كرّم الله وجهه — أنه قال : « قلت :  
يا رسول الله : الأمر ينزل بنا لم ينزل  
فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة ؟  
قال : اجتمعوا له العالمين من المؤمنين  
فاجعلوه شورى بينكم ، ولا تقضوا فيه  
برأى أحد » .

من هذين الحديثين ندرك أن  
الاجتهاد قسمان : قسم فردي ، وهو  
فى الأمور التى يكفى لمعرفة حكمها  
اجتهاد فرد واحد . وقسم جماعى ،  
وهو الذى يكون فيه اجتهاد العالمين  
من المؤمنين فيما يعرض للأمة من  
الأمور التى تحتاج الى تبادل فى  
الرأى .

والشريعة الإسلامية حين فتحت  
باب الاجتهاد للفرد او للجماعة لم تترك  
لهم الحبل على الغارب ، بل وضعت  
لهم من القواعد العامة ما يعينهم على  
بلوغ الهدف ، ويوصلهم الى الغاية  
المرجوة ، من تنظيم سبل الحياة  
للأفراد ، واقرار الحق والعدل .

ان المقصود من الشريعة الإسلامية  
هو جلب المصالح للناس ، ودفع  
المضار عنهم ، فيجب تحرى الحق  
والعدل حتى مع الأعداء ، يقول المولى  
تبارك وتعالى فى محكم آياته : « يريد  
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » و :  
« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا  
تعاونوا على الإثم والعدوان » ، ويقول  
عز وجل : « ان الله يأمر بالعدل  
والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى  
عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، ويقول  
الرسول صلوات الله وسلامه عليه :  
« يسروا ولا تعسروا » ، و : « لا ضرر  
ولا ضرار » ، و : « الدين يسر » .

ويجب أن تكون العقوبة مناسبة  
للجريمة ، والعفو أقرب للتقوى :  
« فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ،  
ويجب ألا يؤخذ فرد بجريمة غيره ،  
وأبضا لا يصح التعلق بالأوهام  
والخرافات .

أما الضرورة فلها أحكامها التى  
تلائمها ، فقد يباح فيها ما هو ممنوع  
فى غيرها ، : « الا من أكره وقلبه  
مطمئن بالإيمان » ، و : « فمن اضطر  
غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » ، ان  
الله غفور رحيم » .

هذه بعض من القواعد العامة  
التي وضعها الاسلام ليستتير بها  
المجتهدون عندها يضعون أحكاما  
للأشياء التى ليس لها نظير فيما  
مضى .

ويرى العلماء ان الاجتهاد واجب  
عينى على كل انسان تعرض له  
حادثه ويخاف موتها ، وكفائى على كل  
مسئول عرضت له حادثه ولم يخف  
موتها وهناك غيره من المجتهدين ،  
ويندب الاجتهاد عند السؤال عن  
قضية او مسألة لم تحدث بعد .

بيد انه من الأصلح والأحسن أن  
تكون هناك مجموعة من العلماء ذوى  
الكفاءة ، يقع على كاهلها مهمة  
الاجتهاد فى الأمة ، وأن الأمة تائم  
وتقع فى الخطأ اذا انقطع عنها  
الاجتهاد ، ورضيت بالتقليد الأعمى  
والجمود .

ويعتد المجتهد فى استنباطه  
للأحكام على ثلاثة أمور :

**أولها :** المعرفة بالأدلة السمعية ،  
التي ترجع الى كتاب الله عز وجل ،  
وسنة رسوله صلوات الله وسلامه  
عليه ، والإجماع ، وما اختلف فيه  
العلماء من الأصول الأخرى .

**ثانيها :** التأكد من دلالة اللفظ فى  
اللغة العربية ، وفى استعمال البلغاء  
وهذه الدلالة تكون إما بالمنطوق ، او  
بالمفهوم ، او بالمعقول ، وهو القياس  
 وأنواع الاستدلال المختلف فى حجيتها  
بين أئمة المسلمين

**ثالثها :** المقدرة على الموازنة بين  
الأدلة ، واختيار أرجحها وأقواها .

فلا بد أذن لمن يرغب أن يكون مجتهداً من أن يكون على معرفة بالكتاب ، ودراية بقراءته ، وعلم بناسخه ومنسوخه ، وفهم للسنة النبوية الشريفة واصطلاحاتها ، ودرجاتها ، ومركزها من القرآن الكريم ، ولا بد أيضاً من أن يكون ملماً بعلم الأصول واللغة ، وآراء الفقهاء ، وأسباب اختلافهم ، وطرق الاستدلال السميعة والعقلية ومقاصد الشريعة . ويرى الشاطبي في كتابه « الموافقات » أن درجة الاجتهاد إنما تحصل ممن اتصف بوصفين :

**الأول :** فهم مقاصد الشريعة على كمالها .  
**الثاني :** التمكن من استنباط الأحكام بناء على فهمه لمقاصد الشريعة .

فالمقاصد الشرعية هي الأساس ، فإذا وصل المجتهد إلى أدراك قصد الشارع في كل مسألة ، فقد تمكن من الوصول إلى أن يطلق عليه وصف خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في توضيح وتبيين الخطاب الإلهي في التعليم والفتوى .

ولا يلزم المجتهد في الأحكام الشرعية أن يكون مجتهداً في كل علم يتعلق به الاجتهاد على الجملة ، بل الأمر ينقسم ، فإن كان له علم لا يمكن أن يحصل وصف الاجتهاد بكنهه إلا عن طريقه ، فلا بد أن يكون على علم به حتى يكون مجتهداً فيه ، وما عدا ذلك من العلوم فلا يلزم ذلك فيه وإن كان العلم به معيناً فيه ، ولكن لا يخل التقليد فيه بحقيقة الاجتهاد .

**الاجتهاد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم :**

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يفارق الحياة الدنيا إلا بعد أن تكامل بناء الشريعة الإسلامية ، فما

كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما ثبت باجتهاد الصحابة والتابعين لا يعد تشريعاً في الحقيقة ، بل هو توسيع في تبسيط القواعد الكلية ، وتطبيق ذلك على الأحداث الجزئية المتجددة ، واستنباط للأحكام بفهمها والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة .

وقد ثبت أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان مأذوناً بالاجتهاد ، وأنه قد وقع منه بالفعل ، وفي مواضع كثيرة كان لا بد فيها من الاجتهاد ، ومما ينبغي أن يعرف أن اجتهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الأحكام أساسه القرآن الكريم ، وما بثه في نفسه من روح التشريع ومبادئه فهو يستند في تشريعه الأحكام التي تطبق المبادئ العامة لتشريع القرآن الكريم ، لترجع أحكام السنة إلى أحكام القرآن الكريم ، ومن ثم لا يقع بين أحكام القرآن الكريم وأحكام السنة النبوية الشريفة أي تخالف أو تعارض .

فمن مواضع الاجتهاد التي يشهد بها القرآن الكريم ، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه استشار أصحابه فيما يصنعه بأسرى « بدر » ، فأشار أبو بكر الصديق بالفداء ، وأشار عمر بن الخطاب بقتل الأسرى ، فمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى رأي أبي بكر الصديق ، وبعد تنفيذ القرار في شأن الأسرى نزل القرآن الكريم معاتباً المسلمين ، لا على ما فعلوه بالأسرى من إطلاق سراحهم والمن عليهم بالفداء كما يتوهم ، بل على نفس الأسر أثناء القتال ، أي على عمل تكتيكي حدث خلال المعركة ، وهو اكتفاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبعض المسلمين بانتهاء المعركة بأقل ما يمكن من الخسائر في أرواح زعماء « قريش » . ومن أمثلة اجتهاد الرسول صلى



الله عليه وسلم التي تعتمده على القياس وتعتبره من المدارك الشرعية، أن امرأة جاءتته وقالت : « يا رسول الله : أن أمي ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟ فقال : أرايت لو كان على أمك دين فقتضيته أكان يجزىء عنها ؟ قالت : نعم . فقال صلوات الله وسلامه عليه : فدين الله أحق أن يقضى » .

ومن ذلك أيضا أن رجلا وضعت زوجته ولدا أسود فأنكره ، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه للرجل : « هل لك من إيل حمر فيها أورك ؟ » ، قال : نعم . فقال له صلى الله عليه وسلم : « فمن أين ؟ » ، قال لعله نزع عرق . فقال صلى الله عليه وسلم : « وهذا لعله نزع عرق » . وكان الرسول الكريم يأمر أصحابه بالاجتهاد ، وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة في حضرته وفي غيبته ، فكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقرهم على ما أصابوا ، وينكر عليهم ما أخطأوا ، فقد حكم الرسول الكريم سعد بن معاذ في يهود « بنى قريظة » بناء على طلبهم ، وارتضائهم لحكمه وتنفيذهم له . فحكم سعد بأن يقتل الرجال ، وتسبي النساء والأطفال ، وتصادر الأموال والممتلكات فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ، لقد رضى بحكمك هذا الله والمؤمنون ، وبه أمرت » .

وقد قاس سعد بن معاذ حكمه على اليهود على المحاربين الذين ذكرهم القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وروى عن عمرو بن العاص أنه قال : « جاء خصمان يختصمان إلي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا عمرو ! اقض بينهما . قلت : أنت أولى بذلك مني يا نبي الله . قال : وإن كان . قلت : على ماذا أقضي ؟ قال : إن أصبت القضاء بينهما فلك عشر حسنات ، وإن اجتهدت فأخطأت فلك حسنة » .

وقتل أبو قتادة رجلا من المشركين ، فأخذ سلبه غيره ، فقال أبو بكر : « لا نقصد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فنمطيك سلبه ، أردد عليه سلب قتيله » ، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « صدق ، أردد عليه سلبه » .

### الاجتهاد في زمن الخلفاء الراشدين

عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وانقطاع الوحي ، انتقلت قيادة الأمة الإسلامية في الأمور الدينية والدنيوية إلى الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة ، فاضطلعوا بهذا الواجب ونهضوا بهذا العبء .

وقد مضوا على هذه الخطة ، فكان أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله عز وجل ، فإن وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله عز وجل نظر في سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فإن وجد فيها ما يقضى به يقضى به ، وإن لم يجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به ، جمع كبار المسلمين واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به .

وكان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يفعل ذلك ، ويكتب به إلى قضاته في الأقاليم ، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري قاضيه بـ « البصرة » يقول : « القضاء فريضة محكمة أو سنة متبعة » ، ثم قال : « الفهم الفهم

وجل ، وأنه الحق والصواب وما عداه خطأ وباطل ، بل كانوا دائماً يجهرون بقولهم : « ان كان صواباً فمن الله ، وان كان خطأً فمن أنفسهم ومن الشيطان » ، وهذا أبو بكر الصديق يقول عندما سئل عن الكلالة : « أقول فى الكلالة برأى ، فان يكن صواباً فمن الله ، وان يكن خطأً فمنى ومن الشيطان ، الكلالة ما عدا الوالد والولد » .

ولقد سئل عبد الله بن مسعود عن المرأة التى تزوجت ، ولم يفرض لها زوجها صداقاً ، وتوئى قبل أن يدخل بها فقال : « أقول فيها برأى ، لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ، فان يكن صواباً فمن الله ، وان يكن خطأً فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان » ، وقد وافق اجتهاده بما قضى به الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى بروع بنت واشقى الأسلمية .

ان الخلفاء الراشدين قد واجهوا مهمة شاقة وصعبة ، لأن الفتوحات الإسلامية قد اتسعت اتساعاً كبيراً ، وامتد نفوذ العرب الى ما وراء « الجزيرة العربية » ، ودخل الناس من كل جنس ولون فى دين الله أفواجا وارتفعت الراية الإسلامية فوق دول وشعوب مختلفة .

ووجد المسلمون أنفسهم أمام أحداث ووقائع ليس لهم سابق علم بها ، فلكل بلد عاداته وتقاليده ، وأخلاقه ونظمه التى اتخذ منها قواعد يسير عليها فى معاملاته ومبادلاته ، فدعاهم ذلك الى البحث عن أحكام لكل ما يطرأ لهم من مسائل فى كتاب الله عز وجل ، وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الكتاب والسنة لم ينصا على كل ما نزل وينزل بالمسلمين من أحداث ووقائع ، فكان من اللازم والضرورى أن يجتهد أئمة المسلمين فى تطبيق القواعد الكلية

فيما تلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . اعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله واشبهها بالحق » .

وقال لشریح حينما ولاه قضاء مديقة « الكوفة » : « اقض بها استبان لك من قضاء رسول الله ، فان لم تعلم كل قضية رسول الله فاقض بما استبان لك من قضاء أئمة المجتهدين ، فان لم تعلم كل ما قضت به الأئمة المجتهدون فاجتهد ورأىك ، واستشر أهل العلم والصلاح » .

هذه هى خطة الاسلام فى الحكم على الأمور ، إما العمل بما فى كتاب الله عز وجل ، وإما العمل بما فى سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإما الرجوع الى الاجتهاد فى تطبيق القواعد العامة والعمل بروح الشريعة الإسلامية .

وقد كان الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — يرجعون فى اجتهادهم الى قاعدتين هامتين : — **الأولى** : قياس الأشباه على النظائر فاذا عرضت لهم حادثة وقع مثلها فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحكم فيها الرسول الكريم بما جاء فى القرآن الكريم ، أو حكم فيها برأيه ، حكموا فى الحادثة التى عرضت لهم بمثل الحكم فى الحادثة الأولى .

**الثانية** : رعاية مصالح الناس وتحقيق ما فيه الخير لهم ، والعمل على إقامة مجتمع تسوده الألفة والمودة والمحبة والسلام ، هذا اذا لم يكن للحادثة نظير سابق .

ولم يكن الصحابة فى اجتهادهم تسودهم روح التزمّت أو الجمود ، بل كانوا يعلمون أن للشريعة الإسلامية أحكاماً يجب تحقيقها ، ومصالح تجب رعايتها حق الرعاية ، ومع ذلك فلم يجزؤ أى منهم أن يجزم بأن ما وصل اليه هو حكم الله عز

المقررة فى الكتاب والسنة ، على هذه الأحداث والوقائع الجزئية .

وقد مهد لهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق الاجتهاد ومرنهم عليه ، واثابهم عليه فى حالتى الخطأ والصواب ، فبذلوا أقصى ما فى وسعهم فى استنباط الأحكام لكل ما يجد من الحوادث ، فنظروا فى النصوص ودلالتها ، ففاسسوا واستحسنوا .

فمن أول ما صادف المسلمين وواجههم عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الأحداث والوقائع التى لم يكن لها نظير ولا شبهة فى عهده « مسألة المرتدين » ، فقد امتنع هؤلاء المرتدون عن إيتاء الزكاة ، مع اقامتهم للصلاة وقرارهم بالاسلام ، فرأى أبو بكر الصديق أن يقاتلهم حتى يؤدوا ما كانوا يؤدونه للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورأى عمر بن الخطاب عدم مقاتلتهم ، وقال : « كيف نقاتلهم وقـــــــد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ، فقال له أبو بكر : « ألم يقل إلا بحقها ؟ فمن حقها إيتاء الزكاة ، كما أن من حقها إقامة الصلاة » ، قال عمر : « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » .

وتهافت المسلمون فى قتال المرتدين وقتل من حفظة القرآن الكريم وقرائه عدد كبير ، فخشى عمر بن الخطاب أن يضع القرآن الكريم بموت حفظته ، فعرض على أبى بكر الصديق أن يجمع القرآن الكريم فى مصحف ، فنفر أبو بكر من هذا الراى وقال : « أفعل ما لم يفعل رسول الله ؟ » ، وأرسل إلى زيد بن ثابت وعرض عليه اقتراح عمر فنفر من الآخر من هذا الاقتراح وقال مثل ما قال أبو بكر ، ولكن عمر بن الخطاب بين لهما أن هذا الاقتراح لا ضرر فيه ، بل على العكس فيه الخير

للإسلام والمسلمين ، فلم ير أبو بكر الصديق بدا من تلبية نداء مستشاره وتنفيذ اقتراح ساعده الأيمن ، ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى وحرصا على كتابه ، فأمر بتشكيل لجنة من الصحابة وجعل على رأسها زيد بن ثابت ، الذى كان يمتاز بالكفاءة والنزاهة ، والذكاء وطهارة القلب ، فجمع القرآن الكريم من الرقاع والعصب وصدور الرجال ، وقد ضم إليه أبو بكر سالم مولى أبى حذيفة ، وكان من كتاب الوحي ، ليعاونه فى جمع القرآن الكريم ، وعهد بتدوينه إلى زيد بن ثابت .

وقال أبو بكر لعمر وزيد : « اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على كتاب الله فاكتاباه » ، وبذل زيد كل جهده فى جمع القرآن الكريم ، ووجد الآيتين الأخيرتين من سورة « التوبة » مع خزيمة بن ثابت ولم يجدهما مع غيره ، وهاتان الآيتان هما : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فان تولوا فقل : حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

وتم جمع القرآن الكريم فى كتاب روعيت فيه الدقة التامة فى كتابته ، وقد حفظت الصحف المدون بها القرآن الكريم عند أبى بكر الصديق ، ثم عند عمر بن الخطاب الذى عهد بها إلى ابنته السيدة حفصة زوجة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه لم يكن قد بويع لاحد بالخلافة بعد عمر ابن الخطاب فى ذلك الوقت .

لقد واجه عمر بن الخطاب فى خلافته من الأحداث ما لم يواجهه أحد غيره ، ففى عهده فتحت البلاد ، وخضعت لسلطان المسلمين ونفوذهم دول ذات مدينيات قديمة ، ولعل هذا كان أحد أسباب امتياز عمر بسعة الأفق ، فقد اجتهد فى تعرف المصلحة التى يهدف إليها النص ، واسترشد بهذه المصلحة فى احكامه التى كان

يحكم بها ، أى كان يعمل بروح الشريعة الإسلامية لا بحرفيتها .

روى عن حذيفة بن اليمان أنه تزوج من يهودية بـ « المدائن » . وعندما علم عمر بذلك طلب منه أن يخلى سبيلها ، فأرسل إليه حذيفة يسأله : « أحرام هى يا أمير المؤمنين ؟ » ، فجاءه رد عمر يقول : « أعزم عليك ألا تضع كتابى هذا حتى تخلى سبيلها ، فانى أخاف أن يقتدى بك المسلمون ، فيختاروا أهل الذمة لجمالهن ، وكفى بذلك فتنة للنساء المسلمين » ، وقد أخذ بهذا محمد صاحب الإمام أبى حنيفة ، وإن كان ليس حراما .

وروى ابن عباس أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد طلقة واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر الصديق ، وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مخالفين بذلك شريعة الله عز وجل ، فقال : « إن الناس قد استعجلوا فى أمر كان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ » ، فأمضاه عليهم تأديبا للمطلقين ، وزجرا لغيرهم فلم يعد يقبل من أى شخص حلف بالطلاق ثلاثا دفعة واحدة أنه أراد تأكيد لفظ الطلاق الأول باللفظين التاليين له ، وذلك لتغير حال الناس عما كانوا عليه قبل ذلك من التزام القول الحق والتمسك بالصدق .

ومن اجتهادات عمر أنه أوقف إقامة الحد على السارق ، وذلك عندهما حلت المجاعة بالناس فى ( عام الرمادة ) وكثر السراق ، لأنه رأى أن المصلحة المرجوة من العقوبة لا تتحقق فى وقت حلت فيه مجاعة بين المسلمين قد تلجئهم الى أكل الحرام . ومن اجتهاداته أيضا أنه منع إعطاء المؤلف قلوبهم نصيبهم المغروض فى الزكاة ، كما فى قوله تبارك وتعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة

قلوبهم » ، لأنه فهم أن المقصود من إعطاء المؤلف قلوبهم نصيبا من الزكاة هو اعزاز الإسلام ، وتكثير سوادهم ، أما وقد أصبح الإسلام عزيزا قويا ، فيصير الإعطاء على هذا الشكل فيه ذلة وخنوع ، فمنعه لأنه يريد العزة للمسلمين التى أرادها الإسلام لهم .

وهناك أمور ومسائل كثيرة كان يجتهد فيها عمر بن الخطاب ، وأصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه يمدونه بالرأى ويؤازرونه بالمشورة .

ولقد كان عمر بن الخطاب أول من قرر قاعدة اختلاف الأحكام الاجتهادية باختلاف البيئات والبلاد ، وهى نتيجة ضرورية لازمة لاتساع رقعة الأراضى الإسلامية ، وتفرق الصحابة فيها ، واختلاف البلاد التى دخلت فى الإسلام فى الأحداث والمشاكل .

#### الاجتهاد فى عصر التقليد :

فى هذه المرحلة اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا ، وانتظمت بلادا وشعوبا مختلفة فى العادات والتقاليد ، والمعاملات والحضارات ، وبث غير العرب ممن دخلوا بين المسلمين الكثير من علومهم وبحوثهم ، وفتحوا للمعقول أبوابا عديدة من التفكير ، فكان من أثر اختلاطهم بالعرب أن قامت نهضة عقلية عظيمة ، فنشط الاجتهاد نشاطا كبيرا واتسعت دائرته ، واتجه المجتهدون الى ما لم يتسع له زمن أسلافهم ولم تنهيا لهم أسبابه ، وأصبح الفقهاء يفترضون الأحداث التى لم تقع ، ويستخدمون وسائل اجتهادهم فى تعرف الأحكام لتلك الفرضيات ، حتى أصبحت عادات الناس على اختلاف أحوالهم وتعدد أممهم محكومة بالفقه ومتصلة به ،

ولم تعد الفوارق الاقليمية تباعد أو تفرق بينهم ، فالروابط التشريعية جعلت منهم أمة واحدة فى التقاليد والمظاهر الشرعية .

واستمر علماء المسلمين فى اجتهادهم فى شتى الاقطار ، حتى أخذت المذاهب الفقهية تنتشر وتتميز بصفتها ، ويتخذ كل مذهب طابعه الخاص به ، وابتدأ الناس يتحيزون كل الى المذهب الذى يختاره ، ولم يكد ينتهى عصر الدولة العباسية حتى انحصرت المذاهب المتعددة فى أربعة مذاهب فقهية هى : المذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى ، والمذهب المالكى ، والمذهب الحنبلى .

ثم تلا ذلك فترة من الركود والجمود أقفل فيها باب الاجتهاد وانقطع ، وكان هذا الركود والجمود من اسباب انتقاص سلطة القضاء الشرعى ، وقصره على ما يسمى الآن بالأحوال الشخصية ، وفى اقتباس الأحكام والقوانين الاخرى من القوانين الاجنبية .

وقد حذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الوقوع فى انقطاع الاجتهاد ، وأمر بالحرص على وجود المجتهدين فى كل عصر من العصور ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا سئلوا فامتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » .

### الاجتهاد فى عصر النهضة الحديثة :

وفى عصر النهضة الحديثة أحس الناس فى بعض البلاد بها فى الاقتصار على العمل ببعض المذاهب ، فى أجزاء من المسائل التى تواجهها

من ضيق وبعد عن مجارة الإصلاح الذى تنشده ، على ما فى الشريعة الاسلامية من يسر ومرونة وسهولة ورعاية لمصالح الأفراد والجماعات ، فاتجهت الأفكار الى الاقتباس من الاحكام الشرعية من آراء علماء الشريعة الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، متى كان فى هذا الاقتباس تحقيق لمصالح الناس ، ولا يناقض أصلا من أصول الشريعة الاسلامية ، وبهذا العمل ثبت الدليل العملى على مرونة الفقه الاسلامى ، وعلى كثرة ما يحتويه من بحوث قيمة فى شتى المجالات .

ان الاجتهاد هو العلم الذى وضعه الاسلام ليشارك به المجتهدين الأكفاء فى التشريع ، وهو ما يجعل الشريعة الاسلامية قابلة للتطور والدوران مع المصلحة العامة والخاصة فى جميع العصور ، وفى كل الجهات ، وهو ما يوفق بين ادعاء المسلمين أن الشريعة الاسلامية قد تمت فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبين حاجة المجتمعات الى أحكام للقضايا التى تحدث والتى ليس فيها نص سابق من قرآن أو سنة .

وعدم ادراك المستشرقين لمغزى الاجتهاد وكنهه ، وفضله وعظمه ، هو الذى جعلهم يقولون : ان الشرع الاسلامى محكوم عليه بالجمود ، لمجرد كونه قد تم وضعه بالوحى فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه . هذه هى الشريعة الاسلامية التى فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه ، بل أوجبه فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، بشرط أن يجرى ذلك فى ظل القواعد العامة التى تقر الحق والعدل ، وتعترف باختلاف الأحكام الجزئية باختلاف البيئات مراعاة لاختلاف عادات الناس وتقاليدهم ، ونظمهم ، وأساليب حياتهم .



#### للدكتور : محمد سلام مذكور

حكمت السفية اذا أخذت على يده  
ومنه سمى الحاكم حاكما لمنعه  
الظالم من ظلمه .

وقد استعمل لفظ الحكم في القرآن  
في نحو مائة موضع ترجع في جملتها  
الى القضاء والفصل لمنع العدوان  
والظلم فمن ذلك قوله تعالى :  
« يا داود انا جعلناك خليفة في  
الارض فاحكم بين الناس بالحق »  
وقوله « وان حكمت فاحكم بينهم  
بالقسط » .

الحكم له اطلاقات تختلف باختلاف  
المعلوم ، فيطلق في العرف . على  
اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، كالحكم  
بأن الشمس مشرقة أو ليست  
مشرقة لان في ذلك اثبات شروق  
الشمس وعدمه .

**والحكم في اللغة :** جاء في القاموس  
الحكم : القضاء ، وحكم عليه بالأمر  
حكما وحكومة وحاكمه دعاه الى  
الحاكم ، ويقول ابن فرحون الفقيه  
المالكي المتوفى سنة ٧٩٩ هـ : ان  
الحكم في مادته بمعنى المنع ومنه

« ورد لفظ حكم بهذا المعنى أيضا في السنة النبوية في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (١) » وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد في مسنده وأبو نعيم في الحلية عن السيدة عائشة رضي الله عنها : « هل تدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوا بذلوه وإذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم » . وانما سمي من يتولى الشئون العامة حاكما لأنه هو الذى يفصل فى كل ما يتعلق بأمور الدولة مباشرة أو بواسطة نوابه وأعوانه .

وما أوردنا لمعنى كلمة حكم هو الاستعمال الشائع الدارج فى اللغة ومع هذا فقد استعملت فيها بمعان أخر كما يروى ابن منظور فى لسان العرب « الحكم : الحكمة من العلم ، والحكيم العالم والحكم العلم والثقة ومن ذلك قوله تعالى « وآتيناه الحكم صبيا » ، وقوله « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

**الحكم الشرعى عند الأصوليين :**  
الأصوليون من أهل السنة يعرفون الحكم الشرعى بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعاً . فقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » حكم من الشارع بذلك ، وقوله « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » حكم منه بذلك .

ويقرب من الحكم عند الأصوليين الحكم فى الاصطلاح القضائى لأنه عندهم الصيغة التى يصدرها القاضى للدلالة على ما فصل به فى موضوع النزاع ، ولذا يقال على العبارة التى

ينطق بها القاضى عند الفصل فى الدعوى « منطوق الحكم » ، كما يقال « تأجلت القضية للنطق بالحكم » ويقابل الحكم الشرعى عند الأصوليين فى الجملة ما يسمى بالقاعدة القانونية عند رجال القانون وهى عبارة عن تكليف صادر إلى الأفراد تتوجه به سلطة تملك التكليف والأمر دون تعقيب ، وتكفل احترامها سلطة عامة فى الجماعة عن طريق ما يتوافر لديها من قوى مادية لا تغلب .

فالقاعدة القانونية عندهم هى القانون الوضعى اذ تنظم الروابط الاجتماعية ويصحبها الجزاء الذى توقعه الدولة . وواضح أن القانون الوضعى انما يتناول علاقة الأفراد بعضهم ببعض أو بالجماعة أو علاقة الجماعات بعضها ببعض وأن الجزاء فيه قاصر على ما توقعه الدولة . بينما الحكم الشرعى ينظم علاقة الفرد بخالقه فوق تنظيمه الروابط الاجتماعية ، كما أنه أرصد جزاء أخرويا لمن يخالفه وثوابا لمن يطيعه .

**الحكم الشرعى عند الفقهاء :**  
المشتغلون بالفقه الإسلامى الحكم على الأثر المترتب على خطاب الشارع لأعلى نفس الخطاب الذى يعتبرونه دليلاً . فيقولون الصلاة حكمها الوجوب ودليل ذلك قول الله تعالى ( وأقيموا الصلاة ) ، وقربان الزنى حرام بدليل نهى الله سبحانه عن الاقتراب منه فى قوله جل شأنه : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » .

وتقييد الحكم بكونه شرعيا أى منسوباً إلى الشارع سواء أكان الحكم صادرا منه مباشرة أم بواسطة اجتهد المجتهدين . اذ المجتهد لا ينشئ الأحكام باجتهاده ، وانما يلتزم أحكام الشارع التى لم ينص عليها

بواسطة الأمارات والأدلة الظنية .

### نظرة المعتزلة للحكم الشرعى :

يرى المعتزلة ان الحكم الشرعى ما يثبتته الشارع فى الفعل موافقا لما فيه من صفة اد النصوص عندهم كاشفة للأحكام ، وان العقل يستقل بادراكها . وهذا بناء على مذهبهم وفى التحسين والتقيح العقليين . اذ يرون أن الافعال تنقسم الى حسنة وقبيحة فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن انقاذ الغرقى والهلكى وكقبح الكفر وإيلا الم البرى ، ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يدرك بالسمع كالعبادات .

فالعقل عندهم يمكن أن ينفرد بمعرفة حكم الله فى الجملة من غير وساطة كتبه ورسله بناء على ما فى الأفعال من صفات وآثار تبين وجه النفع أو الضرر ، وقالوا : أن حكم الله فى أفعال المكلفين هو على حسب ذلك النفع أو الضرر ، وعلى وفق ما يدركه العقل من حسن أو قبح واذا لم يدرك العقل شيئا من ذلك توقف حتى يرد حكم الشرع .

### أقسام الحكم عند الاصوليين : يبين

من التعريف الذى قدمناه عنهم للحكم الشرعى . أن تعلق خطاب الشارع بفعل المكلف ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - تعلق على وجه الاقتضاء الذى هو الطلب سواء كان طلب الفعل جازما وهو ما يسمى بالايجاب أو الوجوب ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالندب ، أو كان طلب الترك جازما وهو ما يسمى بالتحريم أو الحرمة ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالكراهة

٢ - تعلق على وجه التخيير بين فعل الشئ أو تركه دون ترجيح لأحد

الجائين على الآخر الذى يترتب على هذا هو الإباحة فيصير المكلف مخيرا بين فعل الشئ وتركه ويسمى الفعل مباحا . وقد سبق أن أفردنا لهذا القسم بعض مقالات نشرت من قبل فى الجملة .

٣ - تعلق على وجه الوضع بجعل الشئ سببا أو شرطا أو مانعا ويرى بعض الاصوليين أن كون الفعل صحيحا أو غير صحيح من هذا النوع

### أقسام الحكم الشرعى عند الفقهاء :

١ - أحكام شرعية علمية أى نظرية وهى المتعلقة بالعقائد كوجوب الايمان بالله وبرسله والبعث والحساب والايمان بأن القرآن حجة اذ كل هذه الأحكام المقصود منها الاعتقاد دون العمل فهى غير متعلقة بأفعال المكلفين وانما بعقائدهم ولذا سمى هذا النوع من الأحكام « بالأحكام الاعتقادية » .

٢ - أحكام شرعية وجدانية : تتعلق بالاخلاق وما يجب أن تكون عليه نفوس الناس ، وقد شرعت هذه الأحكام لتحاط العقيدة بالأخلاق الفاضلة المهذبة للنفس والمقومة للشخصية الفردية فالحكم بأن أكرمكم عند الله اتقاكم ، والحكم بأن القول المعروف والمغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والحكم بأنه اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ، والحكم برد التحية بأحسن منها ، والحكم بأن الصدق واجب والكذب حرام الى غير ذلك من الأحكام فانها كلها لا تتعلق بأفعال المكلفين التى يؤاخذ عليها المرء فى الدنيا .

٣ - أحكام شرعية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال



وتصرفات سواء أكانت من العبادات أو المعاملات أو الجنائيات ، وسواء أكانت تتعلق بالأفراد أو الجماعات فى الحرب أو السلم وهذه الأحكام كالوجوب والندب والحظر والكراهة وإباحة الشيء وترك المكلف حراً فى اختيار فعله أو تركه ، ومنها الأحكام التى توصف بها العبادة بأنها قضاء أو أداء والتى يوصف بها العقد بأنه صحيح أو فاسد الى غير ذلك . وهذا النوع هو الذى يسمى بالأحكام الشرعية العملية لتعلقها بأعمال المكلفين . وهذا النوع من الأحكام هو موضوع علم الفقه .

### طريق معرفة الأحكام الشرعية العملية :

تحتاج الأحكام الشرعية العملية فى معرفتها الى التأمل والفهم ، وبتفاوت الناس فى الفهم تتفاوت مراتبهم فى الفقه والتعرف على هذا النوع من الأحكام . وهذه الأحكام وإن كانت كغيرها من الأحكام الشرعية تؤخذ من الوحي كتاباً كان أو سنة إلا أن الفقيه إذا لم تسعفه النصوص الموجى بها لجأ الى استلزام روح الشريعة ومقاصدها .

وفى هذا أكبر مجال للاجتهاد . والأدلة التى تؤخذ منها الأحكام الشرعية العملية منها ما هو دليل كلى إجمالى لم يعين فيه شيء خاص وهذا كما يطلق على المصادر الأصلية وما يتفرع عليها ، يطلق أيضاً على القواعد الأصولية ، ومنها ما هو دليل جزئى يبين حكماً معيناً ويتعلق بمسألة بخصوصها كالدليل الذى يبين نصيب الزوج والاب والأم وغيرهم فى الميراث وهو قوله تعالى « ولکم نصف ما ترک أزواجکم ان لم یکن لهن ولد فان کان لهن ولد

فلکم الربع مما ترکن » وقوله سبحانه « ولأبویہ لکل واحد منهما السدس مما ترک ان کان له ولد فان لم یکن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث » وكالدليل الذى يبين تحريم الزواج بالاخت الرضاعية وهو قوله تعالى فى آية المحرمات من النساء « .. وأخواتکم من الرضاعة » والأحكام الشرعية العملية إما أن تكون مستقاة من نصوص مقطوع بثبوتها ومقطوع بدلائلها على الأحكام أوحى بها كذلك لحوادث وخصومات اقتضت بيان أحكامها حين وقوعها كفريضة الصلاة والصوم والوفاء بالعقود فالنص القرآنى باقامة الصلاة والوفاء بالعقد وصوم رمضان مقطوع بثبوتها ومقطوع بدلالته ، والسنة الفعلية بعدد الركعات وبيان مواقيت الصلاة مقطوع بثبوتها وبدلائلها . كما تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من غير نص لكن المجتهدين فى عصر أجمعوا عليها مثل إجماعهم على توريث الجدات السدس ، واجماعهم على منع توريث ابن الابن مع وجود الابن . وهذان النوعان من الأحكام لا يجوز مخالفتها بحال ولا الخروج عليها إذ هى أحكام لازمة لا تقبل النقض وليست محللاً للاجتهاد لأن دليلها لا يحتمل الشك لقطعية ثبوتها ولا التأويل لقطعية دلالتها . وقد تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الدلالة كقوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » إذ القرء لفظ مشترك يفيد فى اللغة معنى الطهر كما يفيد معنى الحيض . فالقول بأن عدة المطلقة ثلاثة أظهار أو ثلاث حيضات كلاهما مستنبط من دليل ظنى فى دلالاته وإن كان قطعى الثبوت . ولذا كان ذلك محل اختلاف الفقهاء .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :  
« يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى  
الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم  
الى المرافق وامسحوا برءوسكم  
وأرجلكم الى الكعبين . . » فان الآية  
وان كانت مقطوعا بها من ناحية  
الثبوت الا ان دلالتها على ما يجب  
مسحه من الرأس ظنية ، كما ان  
دلالتها على الترتيب عند من يقول به  
أيضا ظنية فكان مجالا للاختلافات  
الفقهية .

وقد تكون الأحكام الشرعية العملية  
مستقاة من نصوص ظنية الثبوت .  
فأخبار لآحاد من السنة دليل ظنى  
فى نسبتها الى الرسول صلى الله  
عليه وسلم ما لم تكن هناك قرائن  
تقطع بذلك على تفصيل مبين فى  
موضعه . ومع هذا فقد تكون دلالة  
بعض الاخبار قطعية وينحصر الثبوت  
منها فقط فى السند ومدى صحة  
نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم  
وقد تكون دلالة بعضها ظنية أيضا  
وهذا مجال الاختلاف فيه فسيح اذ  
يختلف الفقهاء فى القيود التى  
يشرطونها للثبوت من صحة نسبة  
الخبر للأخذ به ، اذ ان السنة لم تكتب  
فى عصر الرسول ولم يحرص  
الصحابه على حفظها حرصهم على  
حفظ القرآن ، فضلا عن أن الرسول  
أذن لهم فى روايتها بالمعنى لمن له  
قدرة على اصابة المعنى ، كما ان  
السنة كانت غالبا تصدر عندما  
يتطلبها البيان أو تدعو اليها الحاجة  
وقد يحدث ذلك والرسول فى بيته  
أو فى المسجد أو فى مكان آخر ولم  
يكن يحضرته الا واحد أو نفر قليل  
يعلم ما صدر فى المسألة من سنة ،  
فلما مات الرسول عليه الصلاة والسلام  
وتفرق الصحابة فى البلاد كانت  
تعرض القضية فى المدينة أو فى  
غيرها فإن كان عند الصحابة

الحاضرين فيها سنة حكموا بها ، وقد  
يروى أثر فى مسألة أحد الرواة  
ولم يثق بروايته غيره ومن ذلك  
استحقاق المطلقة بئانا نفقة العدة  
وأجرة المسكن فقال عمر بن الخطاب  
انها تستحق وتبعه فى ذلك جمع من  
الصحابه استنادا الى عموم النص  
فى قوله تعالى « اسكنوهن من  
حيث سكنتم . . » وقوله « لا  
تخرجوهن من بيوتهن . . » والاحتباس  
يوجب النفقة .

بينما يرى ابن عباس أنها لا تدل  
وتبعه فى هذا البعض استنادا الى  
ما روته فاطمة بنت قبيس فقد صدق  
زوجها طلاقا بئانا وهو غائب ، وقد  
سألته النفقة قال : والله مالك علينا  
شئ . فلما سألت الرسول قال :  
ليس لك عليه نفقة . ولما علم عمر  
بذلك قال : لم نسمع هذا الحديث  
ولا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول  
امرأة لا ندري حفظت أو نسيت .  
كما يختلف الفقهاء فيما يدل عليه  
الحديث من أحكام ومن ذلك ما روى  
أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال  
« لا صلاة الا بفاتحة الكتاب » فان  
هذا الحديث دلالة ظنية اذ يحتل أن  
يكون المراد لا صلاة صحيحة أو لا  
صلاة كاملة كما فهم الحنفية .  
ومن ذلك اختلافهم فى مفاد حديث  
فرض رسول الله زكاة الفطر فى  
رمضان صاعا من تمر فقد فهم  
البعض أن كلمة فرض استعملت  
بمعناها الشرعى الذى هو الطلب  
على سبيل الالتزام والتحتيم وقالوا :  
ان صدقة الفطر واجبة ، وفهم البعض  
أنها هنا بمعناها اللغوى وهو التقدير  
وقالوا : انها مندوبة لا واجبة وأساس  
هذا الخلاف هو حمل اللفظ على  
المعنى الشرعى أو اللغوى .  
والأحكام المستقاة من نصوص  
ظنية على وجه العموم فيها مجال

فى العلة ، ومنهم من يؤثر الاتجاه الى مراعاة مصالح الناس ودفع الحرج عنهم ، ومنهم من يؤثر استلزام روح التشريع وأساسه العامة فى كل مسألة لم يرد فيها نص .

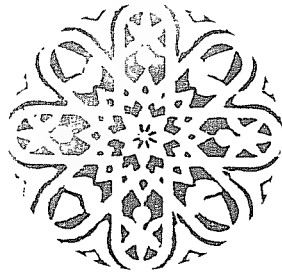
والأحكام الظنية ان لزمّت احدا فانها تلزم المجتهد نفسه ، والمقلد الذى يستفتى فيفتى بحكمها ومع هذا فان المجتهد إذا أداه اجتهاده بعد ذلك الى خلاف ما رآه وجب عليه الأخذ بما أداه اليه اجتهاده الأخير .

ومن الأحكام الشرعية العملية التى بينتها النصوص ، والأحكام الشرعية العملية التى لم تبينها نصوص وانما دلت عليها الامارات الشرعية يتكون الفقه الاسلامى ، أو بعبارة أخرى الأحكام التى أخذت من الكتاب والسنة مباشرة ويكون مصدرها السدين والأحكام التى تؤخذ من المصادر الأخرى ويكون مصدرها الرسمى الفقه . فمن مجموعها يتكون الفقه الايمى الذى يجب أن يكون مصدر القوسين فى دار الاسلام .

للاجتهاد ، غير أن الاجتهاد يكون فى حدود فهم المراد من النص وترجيح أحد معانيه على الآخر دون خروج على ذلك ما دام النص قطعى للثبوت أو حفت به قرائن تجعله فى حكم المقطوع به .

وقد تكون الأحكام الشرعية لم يرد بها نص تشريعى ، ولم تكن موضع اجماع ، وانما جاءت وليدة استنباط أفراد من المجتهدين حسب ما وصلت اليه عقولهم ، ومن الواضح أن مجال الاجتهاد فيه 'بعد واختلاف الرأى فيه أوسع اذ العقول متفاوتة والاتجاهات متغايرة ، والعوامل الخارجية التى تؤثر على منهج الفقيه فى الاستنباط مختلفة ، والحكم الشرعى الذى ينتهى اليه أحدهم من هذا يكون حكما ظنيا حتى اذا اتصل به أمر ولى الامر فان حجتيه تكون قاصرة على عصره ما لم يصر حكما اجماعيا ..

وكان لكل من فقهاء الصحابة والتابعين خاصة منهجه الخاص فى استنباط الاحكام عند انعدام النص فمنهم من يؤثر الاتجاه الى القياس فيعدى حكم ما فيه نص الى القياس وشبيهه مما ليس فيه نص لا يشرأكلهما



(١) هذا الحديث غير ثابت بهذا اللفظ ، ولعله مروي بالمعنى من احاديث صحيحة جاءت فى الاتضية ، وقد اشتهر هذا النص بين الاصوليين والفقهاء : انظر كشف الخفاء مزيل الالباس هـ ١ ص ١٤٢ .

# الحج والعمرة

## ودعاء الرسول

وَدَّ عَلَى النَّاسِ حَجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا

« ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا »

للأستاذ : أحمد عبد المحسن المشاوي

مشروعية الحج والعمرة :

فرض الحج في السنة السادسة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قول الله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .  
ويبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فريضة الحج بما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : « أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال الأقرع بن حابس : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم : الحج مرة فمن زاد فطوع » .  
وكذلك كانت مشروعية العمرة من كتاب الله حيث يقول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وقوله تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله » الآية .

وكذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .  
والحج فريضة محكمة ، وهو الركن الخامس فى الاسلام ، ويشير الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .  
فالإيمان به واجب ، ويكفر ويخرج من الملة ويقام عليه الحد كفرا كل من أنكر فريضة الحج ، ذلك لأنه علم من الدين بالضرورة .  
أما العمرة ، فاختلقت فى حكمها مدارس الفقه الاسلامى ، فمن قائل بوجوبها ، ومن قائل باستحبابها ، وفى رأى بعضهم هى بين الواجب والمستحب ، أى هى سنة .

فمن قال بوجوبها نظر الى قوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » والى قوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، ومن قال باستحبابها أو سفتها نظر الى حديث بنى الاسلام على خمس ، ولم يذكر منهن العمرة . . وعلى كل فهى كفارة لما قبلها من الذنوب ، ويعظم ثوابها حتى يصل الى ثواب حجة كاملة ، ولكنها لا تسقط الفرض ، اذا أدبت فى رمضان . . يشير الى هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سنان الأنصارية : « ما منعك أن تحجى معنا ، قالت : كان لنا ناضحتان ( أى بعيرين نستقى عليهما ) فركب أبو قلابة وابنه أحدهما . وترك الآخر للنضج عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان رمضان ، فاعتمرى فيه ، فان عمرة فيه تعدل حجة » .  
وعلى هذا لا يأتى من اعتقد أنها دون الواجب بخلاف الحج فان من اعتقد أنه دون الواجب يكفر باعتقاده .

### كيف قابل المسلمون هذه الفريضة ؟ :

لقد كان المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فى تطلع وشوق الى دخول مكة ، حتى تكون الكلمة فى بيت الله الحرام لله وحده لا شريك له ، وكلما مر بهم الزمن كلما زاد الشوق الى أن تصل الدعوة لأهل مكة وتسكن قلوبهم ويدخلوا فى دين الله أفواجا . ومن يوم أن هاجر الرسول الى المدينة والحرب قائمة بينه وبين المشركين والتلاحم قائم فى كل عام ، فغزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوة الخندق من المعارك التى كان فيها الالتحام والقتال ، ثم صلح الحديبية الذى فيه أقر الطرفان بوضع الحرب بينهما عشر سنوات يبعد الأمل ويزيد الشوق الى ما يريده المسلمون من دخول مكة دخولا باسلام أكبر من أن يدخلوها بعمرة .

وتجىء فرضية الحج فى السنة السادسة من الهجرة فيفرح المسلمون ويشتمد فرحهم لأنهم أدركوا أن تمام الأمر قد قرب ، وأن تحقيق ما وعد الله تعالى به عبده ورسوله قد آن أوانه ، وأن مكة لا محالة مفتوحة أمام الدعوة ، وأن البيت سيخلص للمسلمين ولكلمة الله وحده لا شريك له . فكان بذلك فرحهم وأملهم ورجاؤهم عظيما وكبيرا . فهى بشارة من الله تعالى لعبده ونبيه بكمال دعوته ونصرة كلمته وتحقيق أمله ، خصوصا وأن كل الفرائض قد تم فرضيتها ، فالصلاة فى مكة ، والزكاة والصوم فى المدينة ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لأهل مكة .

## اعمال الحج والعمرة :

**أعمال الحج عشرة :** أولها الاحرام من الميقات ، ثانيها الطواف بالبيت ، ثالثها السعى بين الصفا والمروة ، رابعها الوقوف بعرفة ، خامسها المبيت بالمزدلفة ، سادسها المبيت بمنى ، سابعها رمى الجمرات ، ثامنها ذبح الهدى لمن عليه هدى ، تاسعها الحلق أو التقصير عاشرها طواف الإفاضة .

**أعمال العمرة أربعة :** الاحرام من الميقات والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والتحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

وهذه الأعمال تختلف درجتها في الحكم بين الركن والواجب والسننة والاستحباب . أما الأركان فهي في العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعى فقط . وأركان الحج هي أربعة : هذه الثلاثة ويزاد عليها الوقوف بعرفة .

وبقية الأفعال في كل من الحج والعمرة هي بين الواجب والمستحب ويجب أن ندرك أن الواجب في باب الحج غير الواجب في غير الحج . فالواجب في الحج يجبر بالدم ، وفي غير الحج هو الركن لا يجبر إلا بفعله ، كالركوع في الصلاة ، فإنه لا يجبر بسجود السهو ، إنما يجبر بالركعة كاملة .

**فقه الحج والعمرة :** لقد تكلمنا في الأسطر السابقة عن أركان الحج والعمرة وذكرنا بقية الأعمال وكل ما نريد بيانه في هذه الأسطر هو درجة ما عدا الأركان من الأحكام الفقهية .

فسنن الحج هي الغسل للاحرام ومس الطيب قبل الاحرام وتنف الإبط وتلبيد الشعر وصلاة ركعتين قبل الاحرام وملازمة التلبية من الاحرام حتى رمى الجمرة الأولى ثم تنتهي التلبية في الحج ، وأيضا تنتهي التلبية في العمرة بعد السعى بين الصفا والمروة ، ومنها تقبيل الحجر الأسود ، واستلام الركنين ، وصلاة في مقام إبراهيم عليه السلام ، والشرب من ماء زمزم ، ورمي الجمرات ، والهولة في الأسواط الأولى من الطواف ، وبين الميادين في السعى بين الصفا والمروة ، والحلق ، والتقصير وطواف الوداع ليلا ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . هذه كلها دون الركن في الحج والعمرة ، ويجبر بعضها بالدم لمن تركها عند من يقول بالوجوب ، وأما عند من يقول أنها مستحبة فلا دم عليه .

وقد يقع من الناس تقديم وتأخير بين الإفاضة والرمي هذا لا يضر وليس فيه شيء من الفداء ، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان عند الجمرات سأله كثير من الناس عما وقع منه من تقديم لبعض أفعال الحج وتأخير لبعضها ، فكان عليه الصلاة والسلام يأمرهم بأكملها دون أن يلزمهم بكفارة . وقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا حرج عليهم ، وإنما الحرج على مرتكب غيبة فقط في هذا اليوم .

**ما يحرم على الحاج والمعتمر :** يحرم على الحاج والمعتمر بعد الاحرام مس الطيب والنساء ، وصيد البر والزواج ، والرفث والفسوق والجدال . هذا مأخوذ من قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء ما قتل من النعم » — أما صيد البحر فهو حلال ويأكل منه الحاج والمعتمر لقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حجه الأكبر الصيد الذي يحرم على الحاج والمعتمر الأكل منه ، والصيد الذي لا يحرم ، فلقد قدم إليه صلى الله

عليه وسلم فى رحلة الحج لحم يقطر دما هدية ، فامتنع عن الأكل ، وقال لصاحبه : « نحن حرم » وقدم له أيضا لحم صيد فأكل منه

وهنا اشترط الفقهاء فى حلية الصيد للحاج أو المعتمر أربعة شروط : **أولها** ، ألا يكون الحاج أو المعتمر هو الذى صاد الصيد بنفسه . **ثانيها** ، ألا يكون قد اصطيد من أجله أو لأجله . **ثالثها** ، ألا يكون قد دل عليه الصيد . **رابعها** ، ألا يكون قد أعان على صيده .

إذا توافر النفي فى هذه الشروط يحل للحاج أن يأكل من الصيد ، وأما إذا فقد نفي فى هذه الشروط كأن يكون اصطيد له أو أعان عليه أو أرشد عليه أو اصطاده هو ، فيحرم الأكل ، وفى الأخيرة يلزم الجزاء من النعم المائل للصيد بعد حكم ذوى العدل من الرجال . لقوله تعالى : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » .

كذلك يحرم على الحاج الخطبة لنفسه أو الخطبة لغيره أو انكاح لنفسه أو انكاح غيره ووطؤه لزوجته وهو فى الإحلال الأكبر وهو الذى يقع بعد طواف الأفاضة .

### حكم الحائض والنفساء :

إذا حاضت المرأة أو نفست فى الحج بعد الإحرام فاتها تستنفر ولا تقرب البيت ، لا بطواف ولا بسعى ، حتى ينتهى حيضها أو نفاسها . . وإذا أدركها يوم عرفه تستنفر وتقف مع المسلمين يوم عرفه ، حتى لا يفوتها الحج ، ثم بعد عرفه تتم حجها ، وفى الحج لا تنقض إحرامها ، وأما فى العمرة فانها تنقض إحرامها برؤية الدم ، ثم لما ينقطع عنها الحيض تحرم للعمرة وتتم عمرتها . ذلك لأن العمرة لا وقت لها ، أما الحج فله وقت معلوم لقوله عليه الصلاة والسلام « الحج عرفه » .

### الفرض من الحج والعمرة :

أما حكمة فرضية الحج فهي مأخوذة أولا من كتاب الله تعالى ، وهى حكمة متعددة ، أولها : أن يشهدوا منافع لهم ، وقد فسرها العلماء بالتجارة التى يتبادلونها فهي منافع لكل من أهل مكة والحجيج . ثانيها : ذكر الله تعالى ، لأنه هجرة الى الله تعالى بالنسبة للرجل ، وجهاد بالنسبة للمرأة ، وفيه تلبية ، ودعاء ، وصلاة ، وتكبير ، وكله ذكر لله تعالى ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الحج العج والثج » . أما العج فهو رفع الصوت بالتلبية ، والثج إسالة دم الهدى . ثالثها : قضاء التقت ووفاء النذر ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى فى سورة الحج : « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ثم يقول تعالى : « ثم ليقتضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

ويشعر الحاج فى رحاب بيت الله تعالى بالأمن والطمأنينة من الحياة وشروطها وآثامها ذلك لأنه فى حرم آمن لاتمسه فيه فتنة ولا يلزمه شيطان لأنه ضيف الله ، والله وحده هو الحامى له والحارس عليه . ومن كان فى هذه الحظوة شعر بالأمن والطمأنينة التى لا يمكن أن تصيب قلب انسان فى مكان غير بيت الله الحرام ، مصداقا لقوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا ، والله على الناس حج البيت » .

ولا ننسى أن وقوف الحاج عند كل شعيرة من شعائر الحج تذكره مع الوقفة بتاريخها وقيمتها في الدعوة الإسلامية . وفي الرجوع بالقلب والفكر إلى الذكرى ، ذلك لمن كان له قلب أي بصيرة أو القى السمع وهو شهيد .  
 أنها تعلم الإنسان كيف يكون محمديا يتحمل مثل ما تحمل رسوله صلى الله عليه وسلم من أمانة ومسئولية عن الدعوة إلى الله تعالى ، تعلمه حقيقة الجهاد حين يقف أمام أماكن المجاهدة التي شهدت جهاد رسول الله وصبر رسول الله وإيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلمه كيف يؤمن بإسلامه وبدينه ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن بإسلامه وبدينه ، فلقد سووم عليه بالمسال والجاه والسلطان والتملك ، فقال : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

انه يتعلم كيف يكون العزم على الجهاد وكيف يكون الصدق في الجهاد مع النفس ومع العدو حين يرى دار الندوى بيت الأرقم بن أبى الأرقم أول منتدا في الاسلام وأول دار أقيمت فيها دعوة الله خالصة ، ويرجع بذهنه إلى عدد المسلمين يومها ويذكر كلا باسمه ليرى أنه كان منهم العبد والفقير والضعيف ، ولكنهم علموا الدنيا كلها صدق الجهاد وقوة النفس ، ومضاء العزم مع قوة الايمان ، وذكر ما كان من ابراهيم خليل الله ولؤذه اسماعيل من صبر على بناء بيت الله واقامة قواعده ، ومن صدق في اداء الأمانة ، ومن قوة في الحفاظ على دعوة الله وكلمته .

انها بحق منافع عظيمة كلها تبعث في النفس الأمل في الأمة وفي الاسلام وفي الحق وفي الخير الذي لا يخرج من هذه الأمة إلى أمة أخرى أبدا . مصداقا لقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

### **دعوات الرسول وأماكنها في الحج :**

روى عن الشافعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من تلبية في حج أو في عمرة سأل الله تعالى رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته من النار ، وعلى هذا يكون أول دعاء له عليه الصلاة والسلام بعد الاهلال من الميقات في ذي الحليفة حيث ثبت أنه عليه السلام لبى ثم دعا ربه .  
 والدعاء الثاني : لما دخل عليه الصلاة والسلام المسجد الحرام من باب بنى شيبه وحين رأى الكعبة قال : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا الجنة بسلام ، اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ، وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وبراً وتكريما » .

هذا ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه دعا في طوافه بدعاء خاص الا قوله « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .  
 هذا ويستحب أن يقول الطائف قبل طوافه وقبل هذه الآية كما هو مروي في بعض الأحاديث « اللهم انى أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة » ثم يقرأ الآية : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ومن الادعية الماثورة في الطواف « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق



والنفاق وسوء الأخلاق ، اللهم قنننى بما رزقتنى وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة لى بخير » .

وعندما قرب الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفا والمروة قرأ قول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ثم رقى الصفا حتى رأى البيت ، فاستقبله وقال ثلاث مرآت : « لا اله الا الله الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

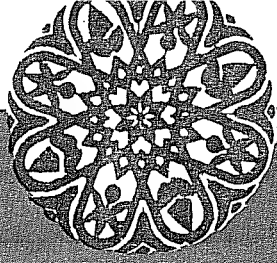
ثم دعا يوم عرفه وبين عليه الصلاة والسلام أن خير الدعاء دعاء عرفه وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

وكان من دعائه فى الموقف « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى صدرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى امرى ، أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفطنة القبر ، اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج بالليل ، وشر ما يلج بالنهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر ، اللهم لك الحمد كالذى تقول ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى ولك ربى ترائى اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من امرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهاج المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريع ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه ، وذلل جسده ورغم أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ويا خير المعطين » .

هذا ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعاء خاص ولا عام عند الجمرات بل كان يكبر ، عند كل حصاة ، وكذلك لم يدع فى طوافه للأفاضة .  
ودعا عليه الصلاة والسلام عند دخوله المدينة بعد رجوعه من الحج ، وحين رآها كبر ثلاثا ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، آيبن تائبون عابدون سائحون وربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

### منكرات يجب تجنبها :

يحمل كثير من الحجاج أكتافهم معهم بقصد زمزمتها اذا رجعوا سالمين أو أن تكون أكتافهم اذا كانت هناك منيتهم ، وهذا من المنكرات والبعد السيئة ، ذلك لأن لباس الاحرام هو للدنيا والآخرة ، ولا شىء يفضل ، وهذا مأخوذ من مشهد فى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث مات أحد الحجاج فأمر الرسول أن يغسل ولا يمسه طيب أو مسك وأن يكفن فى لباس احرامه ، وأن يبقى ذراعه الأيمن ووجهه مكشوفاً ، لأنه كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : يقوم يوم القيامة وهو يلبي ، كما أن الشهيد يكفن فى ثيابه لتكون شاهدة له يوم القيامة بما أصابها من تمزق ودم .



# نظرات في الحديث

## مرحلة تدوين المسند ٧

الدكتور : محمد عبد الرؤوف

كما رأوا أنها تخلط بالحديث مادة واسعة من أقوال غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواهم يزيد عددا وحجبا عن مادة الحديث نفسه، بحيث أنك قد لا تعثر في الصفحة أو الصفحات من المصنف على حديث واحد فتشعر كأنك تقرأ كتابا من كتب الفقه لا مصدرا من مواد الحديث . فرأى هؤلاء أن يبدأوا نوعا آخر من تدوين الحديث يقتصر على جمع الحديث ذاته ونقل ما بقى منه في الصدور إلى السطور ، فشرعوا يجمعون الاحاديث مجردة عن غيرها ومرتببة على حسب ترتيب الصحابة من رواتها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بحيث تجمع الاحاديث التي تروى عن طريق الصحابي معا مدونة في كتاب مستقل ، أو تجمع احاديث عدد من الصحابة بحيث تكون احاديث كل صحابي في باب واحد يحمل اسم هذا الصحابي وتدون معا في كتاب واحد .

وحيث ان الاحاديث في هذا النوع

فرغنا من الكلام على مرحلتين من مراحل تدوين الحديث ، الاولى مرحلة تدوين ( الصحيفة ) ، والثانية مرحلة تدوين ( المصنف ) ، ولقد رأينا أنه بينما كان الهدف من تدوين الصحيفة مجرد تقييد الحديث في صفحات معدودة كان قصد صاحب المصنف الى جانب ذلك - تبويب الاحاديث وترتيبها على أبواب الفقه ليتيسر استخدامها والرجوع اليها في استنباط الاحكام ونحوها ، ولذلك كان جامع المصنف يضيف مواد أخرى كثيرة مناسبة من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وفتاوى هؤلاء وآرائهم ، كما كان يضيف من عنده أحيانا عبارة أو عبارات للبيان والتوضيح أو النص على رأى أو ترجيحه .

وقبيل انتهاء القرن الهجري الثاني رأيت طائفة من علماء الحديث أن طريقة تدوين المصنفات تبدو وكأنها تهدف أكثر ما تهدف الى خدمة الفقه والاستنباط لا خدمة الحديث لذاته ،

ومن المسانيد التى اقتصرت على احاديث صحابى واحد : « مسند أبى هريرة رضى الله عنه » الذى جمعه أبو أسحق إبراهيم بن حرب العسكري المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، ومما اقتصر منها على احاديث نوع خاص من الصحابة ( مسند الصحابة العشرة ) الذى جمعه أبو بكر أحمد ابن جعفر المتوفى عام ٢٤١ هـ ، ومن المسانيد الجامعة ( مسند الامام أحمد ابن حنبل ) رضى الله عنه ، وقد اختاره من سبعمائة الف وخمسين الفا حفظها من الاحاديث .

وهنا يحضرنا سؤال هام عن كيفية ترتيب المسانيد الجامعة كمسند الامام أحمد ، التى تحتوى على عدد كبير من مسانيد الصحابة رضى الله عنهم ، أعنى كيف رتب مسانيد الصحابة فى مثل هذا المسند ؟ وكيف رتب احاديث كل صحابى ؟ والجواب أن جامعى المسانيد قد اختلفوا فى طريقتهم ، فمنهم من رتب على حسب الترتيب الهجائى لأسماء الصحابة ، وهؤلاء قليلون ، ويقال إن بقى بن مخلد القرطبى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كان أول من صنع ذلك فى مسنده ، وأكثر مؤلفى المسانيد رتبوا الصحابة على حسب الاسبقية والفضل فى الاسلام ، فبيد الكتاب بمسانيد الخلفاء الراشدين على ترتيب توليهم الحكم ، ثم يتبعها مسانيد سائر العشرة المبشرين بالجنة ، وهكذا . ومنهم من رتب على حسب العشائر التى ينتمى اليها الصحابة ، أو على حسب الانصار التى ينتمون اليها . وبعض المؤلفين يخلط فيرتب أولا على حسب الاسبقية ثم على حسب العشيرة أو غيرها من الاعتبارات . أما الاحاديث الواردة فى باب واحد لصحابى واحد ، فالغالب أنها غير مرتبة فيما بينها

من الجمع والتدوين مسندة الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره — الا ما قد يكون فى المجموع من زيادات نادرة — اصطلاح المؤلفون على تسمية هذا النوع من التدوين ( المسند ) ، فقالوا مثلاً : ( مسند عمر بن الخطاب ) أو ( مسند أبى هريرة ) ، كما سموا الكتاب الذى تحتوى على عدد من هذه المسانيد ( المسند ) كذلك ، وكأنهم يعنون بذلك : « الكتاب المسند ما فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ويعنونون لكل باب فى مثل هذا ( المسند ) الجامع لأحاديث عدد من الصحابة بكلمة ( مسند ) مضافة الى الصحابى ، فيقولون : ( مسند أبى بكر ) أو ( مسند على بن أبى طالب ) أو ( مسند عائشة رضى الله عنها ) ، وقد يسمونها : ( احاديث أبى بكر ) و ( احاديث على بن أبى طالب ) و ( احاديث عائشة ) . وعلى هذا فخصائص ( المسند ) هى أن الحديث فيه مجرد عن غيره ، وتوجه العناية فيه الى الحديث لذاته ، وتضم فيه احاديث كل صحابى بعضها لبعض ، لذلك ترى الكثير من المسندات مجردة من اقوال الصحابة ومن تلاهم ، كما تخلو فى الغالب من زيادات يضيفها المؤلف لفرض أو لآخر ، ولما كان الهدف الأول من تدوين المسند هو تقييد العلم ونقل ما بالصدر منها الى السطر ، واتجهت الهمم والجهود لهذا القصد ، فقد صدرت المسانيد فى أحجام كبيرة بعضها يحتوى بضعة آلاف أو عشرات الآلاف من الاحاديث ، كما كثر عدد المسانيد فبلغ المائة أو زاد عليها . لذلك كانت حركة تدوين المسانيد حركة خصبة مباركة ، والى بها يرجع الفضل فى جمع الكثير من الاحاديث والمحافظة عليها .

ابن محمد بن أبى شيبه المتوفى سنة ٢٣٩ هـ .

فمن هو من بين هؤلاء كان البادى بتأليف جامع حديثى على طريقة المسند التى شرحناها ؟ قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥ هـ أن أبا داود سليمان بن داود الطيالسى المتوفى عام ٢٠٣ وعبيد الله ابن موسى العيسى كانا أول من صنف المسند على تراجم الرجال ، وقال الدارقطنى بل كان مسدد بن مسرهد أول من صنف المسند ، وقال ابن عدى : يقال أن يحيى بن عبد الحميد الحماتى أول من صنف بالكوفة ، وكان مسدد أول من صنف بالبصرة ، وأسد بن موسى أول من صنف بمصر (٢) .

والواقع أن من الصعب تحديد الاسبق من هؤلاء فى كتابة المسند ، فقد كانوا متعاصرين ، ولا يبعد أن اثنين منهم أو أكثر دونوا مسانيدهم فى زمن واحد ، وربما يؤدى البحث الى الكشف عن محدث سبق هؤلاء جميعا بكتابة جامعى حديثى على طريقة المسند فأوحى اليهم هذا الصنيع ، ولقد ذكر فؤاد سيرجين أن لعبد الله بن المبارك الحنفى المتوفى عام ١٨٢ هـ (مسندا) توجد مخطوطة منه فى مكتبة الظاهرية بدمشق (٣) ، وعلى هذا يكون عبد الله — وقد تلقى عنه الكثيرون من أئمة الحديث فى عصره — سابقا فى استخدام كلمة (المسند) عنوانا لكتاب حديثى ، وإذا كان الجمع فيه على طريقة المسند التى شرحناها فلعله يكون أول من دون مسندا على الطريقة الاصطلاحية .

وبالاضافة الى السادة المحدثين المؤلفين للمسانيد ممن ذكرنا أسماءهم كان هناك آخرون ممن تبعهم واقتفى

ولا مبدية ، ولكنها مسردة سردا كما ترد فى خاطر صاحب الكتاب ، وإن كنت تجد أحيانا احاديث الموضوع الواحد متتالية فى بعض المسندات بلا فاصل ولا عنوان ، أو بعناوين نادرة كما سنرى فى مسند الحميدى أن شاء الله وأول من يعرف تبويب احاديث كل صحابى فى مسنده هو الحافظ بقى بن مخلد القرطبى الأندلسى ، فكان كتابه مسندا ومصنفا فى نفس الوقت ، قال ابن حزم عنه : انه روى فيه عن أكثر من ألف وثلاثمائة من الصحابة .

ولقد اختلف العلماء فى تحديد أول من سبق الى تأليف المسند بهذا المعنى الاصطلاحى ، والثابت أن الباكورة الاولى ممن نعرف من مدونى المسانيد عاشوا فى النصف الاخير من القرن الثانى للهجرة وتوفوا خلال الاربعين الاولى من القرن الثالث ، وكان أكثر هؤلاء من المعمرين ، ويظهر انها سنة الله تعالى فى المحدثين يبارك فى حياتهم ويطول أعمارهم ، من هؤلاء عبيد الله بن موسى العيسى الذى عمر طويلا وتوفى عام ٢١٣ هـ وسليمان بن داود الطيالسى الذى

مات عام ٢٠٣ أو ٢٠٤ هـ عن ثمانين عاما ، ومنهم أسد بن موسى حفيد عبد الملك بن مروان الذى ولد عام سقوط دولة بنى أمية ، أى ١٣٢ هـ وعاش حتى عام ٢٢٨ هـ وكان يسمى (أسد الحديث) ، قال عنه النسائى : « كان ثقة ولو لم يصنف لكان خيرا له » (١) ، ومنهم عبد الله بن الزبير الحميدى المتوفى عام ٢١٩ هـ ، وأبو أسحق ابراهيم بن نصر المطوعى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، ومنهم مسدد ابن مسرهد البصرى ، ويحيى بن عبد الحميد الحماتى الكوفى وكلاهما توفى عام ٢٢٨ هـ ، وأسحق بن يعقوب بن راهويه المتوفى عام ٢٣٨ هـ ، زعثمان

آثارهم أو زاد فأدخل تحسينا واتقانا على طريقتهم ، من هؤلاء : أحمد بن منيع الطوسي المتوفى عام ٢٤٤ هـ ، وعبد الله بن محمد المسندي المتوفى عام ٢٢٩ هـ ، ومحمد بن أسلم الطوسي المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ، وأسحق بن بهلول التنوخي المتوفى ٢٥٢ هـ ، وأبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي المتوفى عام ٢٤٢ هـ ، الذي يقال إنه صلى على جنازته ألف الف مسلم ، وعمار بن رجاء الاسترباداني المتوفى سنة ٢٦٧ هـ ، والحرث بن محمد المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، وأبو أسحق إبراهيم بن يوسف الرازي المتوفى عام ٣٠١ هـ ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الحنظلي المتوفى ٣٢٧ هـ ، ودعلج بن جعفر البغدادى المتوفى عام ٣٥١ هـ ، وإبراهيم بن نصر الرازي المتوفى عام ٣٨٥ هـ ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن جمع المتوفى عام ٤٠٢ هـ .

كان لكل من هؤلاء ولكثير من غيرهم ممن عاشوا في القرن الثالث والرابع مسانيد ، وتعمدنا أن ننص على بعض أسماء من هؤلاء المؤلفين ليرى القارئ معنا ويشعر بمدى الاقبال على جمع الحديث وتدوينه طوال هذين القرنين وقبلهما بقليل ، أى قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى ، وقد يثير العجب والاعجاب أن مسانيد بعض هؤلاء السادة المحدثين بلغ عشرات الاجزاء أو زاد على المائة أو الآلاف من الاجزاء ! اذ عمد هؤلاء الى تحليل الاسانيد ومناقشتها وتحديثها عن حياة الرواة في الاسانيد واستطردوا وأفاضوا ، وكان من بين أصحاب المسانيد المطولة : أبو يوسف يعقوب بن شعبة بن أبي الصلت المتوفى في بغداد عام ٢٦٢ هـ ، صاحب المسند المثل الذي قال عنه الحافظ الذهبي « ما صنف مسند

أحسن منه ولكنه ما أنبه » (٤) ، ويذكر أن أحاديث أبي هريرة في هذا المسند شغلت مائتي جزء منه ، ومسند على فيه بلغ خمسة مجلدات (٥) ! كما كان من بينهم الحافظ البارع أبو على الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بالمسرجي ، قال عنه الحافظ الذهبي : « صاحب المسند الاكبر » ونقل عن الحاكم أنه وصفه بأنه كان سفينة عصره في كثرة الكتابة ، وأنه صنف المسند مهذبا معلا في الف جزء وثلاثمائة من الاجزاء (٦) .

وكى نأخذ فكرة واضحة عن هذه المسندات المطولة المعلة نسوق هنا نموذجا أو نموذجين من مسند عمر ابن الخطاب من المسند الكبير ليعقوب ابن شعبة بن الصلت الذي أشرنا اليه . وقد عثر على الجزء العاشر من مسند عمر الذي هو باب أو فصل من مسند يعقوب بين مخطوطات إحدى المكتبات بالشام على يد الدكتور سامى الحداد الذي نشره عام ١٩٤٠ وحققه مع مقدمة مفيدة ، وكانت طريقة يعقوب كما نقل الدكتور الحداد عن حاجي خليفة وأوضحها هو بالزيد : أن كان يعقوب يذكر اسم الصحابي ، ثم يسوق ترجمته ويستطرد بترجمة رواية الإسناد ويذكر عللها ، وكان يفيض في نقد الرجال ويستطرد بترجمة رواية الإسناد ويذكر نوادرهم وما انفرد به الواحد منهم من الاحاديث .

ويبدو من الجزء العاشر الذي بيدنا ، أن يعقوب كان بعد ما ينتهى من ترجمة الصحابي مدعمة بالاسانيد والتفصيل والاستطرادات يشرع في سرد أحاديثه واحدا بعد الآخر ، جاعلا لكل منها عنوانا خاصا هكذا : « حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا » أو : « وحديثه أن رسول الله صلى الله

غيرهم ممن عاشوا في القرن الثالث والرابع مسانيد ، وتعمدنا أن ننص على بعض أسماء من هؤلاء المؤلفين ليرى القارئ معنا ويشعر بمدى الاقبال على جمع الحديث وتدوينه طوال هذين القرنين وقبلهما بقليل ، أى قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى ، وقد يثير العجب والاعجاب أن مسانيد بعض هؤلاء السادة المحدثين بلغ عشرات الاجزاء أو زاد على المائة أو الآلاف من الاجزاء ! اذ عمد هؤلاء الى تحليل الاسانيد ومناقشتها وتحديثها عن حياة الرواة في الاسانيد واستطردوا وأفاضوا ، وكان من بين أصحاب المسانيد المطولة : أبو يوسف يعقوب بن شعبة بن أبي الصلت المتوفى في بغداد عام ٢٦٢ هـ ، صاحب المسند المثل الذي قال عنه الحافظ الذهبي « ما صنف مسند

أحسن منه ولكنه ما أنبه » (٤) ، ويذكر أن أحاديث أبي هريرة في هذا المسند شغلت مائتي جزء منه ، ومسند على فيه بلغ خمسة مجلدات (٥) ! كما كان من بينهم الحافظ البارع أبو على الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بالمسرجي ، قال عنه الحافظ الذهبي : « صاحب المسند الاكبر » ونقل عن الحاكم أنه وصفه بأنه كان سفينة عصره في كثرة الكتابة ، وأنه صنف المسند مهذبا معلا في الف جزء وثلاثمائة من الاجزاء (٦) .

عليه وسلم فعل كذا » ، واليك هذين النموذجين من مسند عمر بن الخطاب ومن الجزء الذى اشرنا اليه :

( أ ) [ وحديثه — أى عمر — عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أتانى آت من ربي عز وجل فأمرنى أن أصلى فى الوادى المبارك » ] .

» حديث حسن الاسناد ، وهو صحيح ، رواه على بن المبارك والأوزاعى جميعا عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

» وعلى والأوزاعى ثقتان ، والأوزاعى أثبتهما ، فى رواية عن الزهرى خاصة شئ ، ورواية على ابن المبارك عن يحيى بن كثير خاصة فيها وهى ، وقد سمع من يحيى ، وكان يحدث عنه بما سمع منه ، يحدث عنه بما كتب اليه ، ويحدث عنه من كتاب كان يحيى تركه عنده ، وهذا الحديث خاصة يروى أنه مما سمعه على بن المبارك عن يحيى .

[ وهنا يسوق اسنادين عن كتاب يحيى الذى كان لدى على بن المبارك ، واسنادا آخر بشأن درجة على بن المبارك ، ثم يشرع فى ترجمة الأوزاعى ويتحدث عن مبلغ ثقته وديانته ويطلب فى ذلك كله ، ويأتى بالاسانيد لما يقص عنه من قصص ونوادير ، ونقتبس من ذلك ما قصه عن الأوزاعى دالا على شجاعته ] .

» ثنا محمد قال : ثنا جدى قال :

ثنا عبد الملك بن الفارسي قال : ثنا الفيريابى قال : سمعت الأوزاعى يقول : لما فرغ عبد الله بن على من قتل بنى أمية بعث الى وكان قتل يومئذ نيفا وسبعين بالكافر كوبات الا رجلا واحدا ، فدخلت عليه وقد أقام ذلك الجند بالسيوف والعمد ، قال : فدخلت فسلمت فأشار بيده فقعدت ،

فقال : ما تقول فى دماء بنى أمية ؟ فحدثت قال : قد علمت من حيث حدثت ، أجب الى ما سألتك ، قال : فحدثت أيضا فقلت : كان لهم عليك عهد وان كان ينبغى لك أن تفى لهم بالعهد الذى جعلته ، قال : فقال لى : ويلك ! قال : أوليست الخلافة

وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل عليها على رضى الله عنه بصفين ؟ قلت : لو كانت الخلافة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رضى على بالحكمين ، قال : فنكس ونكست أنتظر ، قال : فأطلت ثم قلت : البول ، قال : فأشار بيده هكذا ، أى : اذهب ، قال : ففهمت فجعلت لا أخطو خطوة الا ظننت أن رأسى يقع عندها .

[ وبعد أن يتم يعقوب قصصه عن الأوزاعى ، يستطرد فيسوق حديثا بسنده رواه يحيى بن كثير عن الأوزاعى ، ثم يسوق حديثا آخر بسنده رواه أنس بن مالك عن الأوزاعى ، ثم يسوق حديثا ثالثا بسنده عن سفيان الثورى عن الأوزاعى ، وبعد هذا كله يأتى بالحديث الذى عنوان له عن عمر وجمل هذا كله مقدمة له : بطريق على ابن المبارك أولا ، ثم بطريق عبد الرحمن الأوزاعى — هكذا ) :

» فأما حديث على بن المبارك »

» ثنا محمد قال : ثنا جدى قال :

ثناه حجاج بن نصير الفساطيطى ، سألت عنه يحيى بن معين فقال لى صاحب الفساطيط كان شيخا صدوقا ولكنهم أخذوا عليه أشياء فى حديث شعبة كان لا بأس به يعنى أنه أخطأ فى أحاديث من أحاديث شعبة .

» ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا حجاج بن نصير قال : ثنا على بن

النبى صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه » .  
واليك الآن النموذج الآخر ، وليس  
فى اسناده مثل هذا التفصيل :

**وحدیثه فی حاطب بن أبی بلتعة  
هین کتب الی أهل مكة**

« حدیث حسن الاسناد ، رواه  
ایضا عكرمة بن عمار عن سماک أبی  
زمیل عن ابن عباس عن عمر رضی  
الله عنه ، قال علی بن المدینی فی  
هذا الحدیث بعینه : لا نعلمه روى  
عن عمر عن النبى صلى الله عليه  
وسلم الا من هذا الوجه ، قال :  
ولم يردہ أهل الحجاز ولا أهل البصرة  
ولا أهل الكوفة ، وهو على ما قال  
على .

« وقد روى عن علی بن أبی طالب  
رضی الله عنه هذا الحدیث من وجوه  
صحاح تأتى فی مسند علی ان شاء  
الله .

« ثنا محمد قال : ثنا جدی قال :  
ثناه أبو حذيفة موسى بن مسعود  
قال : ثنا عكرمة بن عمار عن أبی  
زمیل عن ابن عباس قال : قال عمر  
ابن الخطاب رضی الله عنه : کتب  
حاطب ابن أبی بلتعة الی المشركين  
بكتاب فجىء به الی النبى صلى الله  
عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله  
عليه وسلم : « يا حاطب ! ما دعاك  
الی ما صنعت ؟ » قال : يا رسول  
الله : كان أهلى فیهم وخشيت أن  
يقدموا علیهم ، فقلت أكتب کتابا  
لا یضر الله ورسوله . قال عمر رضی  
الله عنه : فاخترطت السیف فقلت  
يا رسول الله : اضرب عنقه فقد  
كفر ، فقال : « وما يدريك لعل الله  
عز وجل قد اطلع الی هذه العصابة  
من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم  
فقد غفرت لكم » .

المبارک قال : ثنا یحیی بن أبی كثير  
قال : حدثنی عكرمة عن ابن عباس  
قال : حدثنی عمر بن الخطاب رضی  
الله عنه قال : حدثنی رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتانى  
الليلة آت من ربى عز وجل وهو  
بالعقیق ان صر فى هذا الوادى  
المبارک ، وقال : عمره فى حجة » .

**« وأما حدیث عبد الرحمن الاوزاعی »**

« ثنا محمد قال : ثنا جدی قال :  
ثناه ابراهيم بن موسى الصغير ، قال  
أبو يوسف : وهو ثبت مسلم — قال :  
ثنا الولید بن مسلم قال : ثنا الاوزاعی  
عن یحیی بن أبی كثير عن عكرمة عن  
ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضی  
الله عنه عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انه قال وهم بالعقیق :  
« أتانى الليلة آت من ربى عز وجل  
فقال : صل فى هذا الوادى المبارک  
وقال عمرة فى حجة » .

« ثنا محمد قال : ثنا جدی قال :  
وثنا زهير بن حرب قال : ثنا الولید  
ابن مسلم قال : حدثنی الاوزاعی  
قال : حدثنی یحیی بن أبی كثير قال :  
حدثنی عكرمة مولى ابن عباس قال :  
سمعت ابن عباس يقول : سمعت  
عمر بن الخطاب رضی الله عنه يقول :  
سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول وهو بوادى العقیق :  
« أتانى الليلة آت من ربى عز وجل  
وقال : صل فى هذا الوادى المبارک  
وقال عمرة فى حجة » .

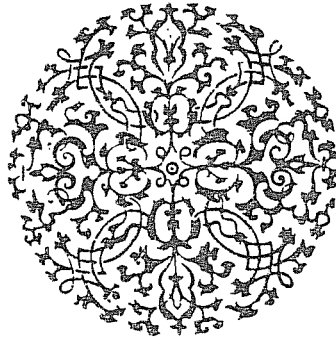
— ● —

« ثنا محمد قال : ثنا جدی قال :  
ثنا عبد الله بن محمد قال : ثنا محمد  
ابن مصعب قال : ثنا الاوزاعی عن  
یحیی بن أبی كثير عن عكرمة عن ابن  
عباس عن عمر رضی الله عنه عن

— ● —

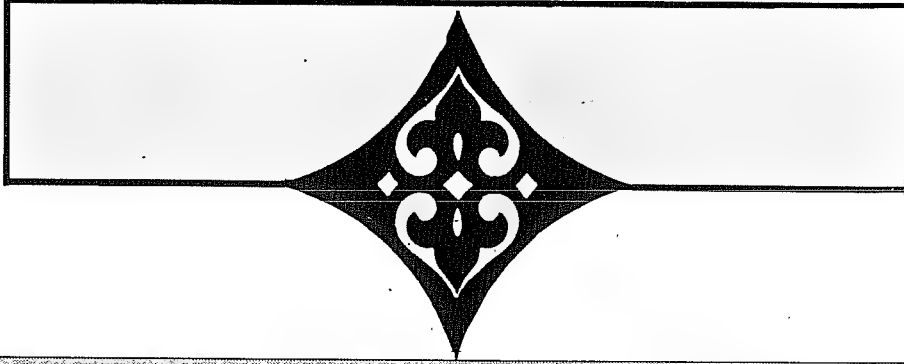
تدوين المسانيد ، إلا وهو تسجيل الأحاديث التي تتناقلها الألسن كتابيا قبل أن تضيع بذهاب حملتها، والواقع أن هذه الطريقة الموسعة تمثل تطورا متأخرا نوعا ما فى تدوين المسانيد ، لذلك سوف نعالج فيها إلى ان شاء الله تعالى نماذج ثلاثة من المسانيد المبكرة التي تهدف إلى تحقيق الهدف الأول من تدوين ( المسند ) ، أعنى مسند الطيالسى ، ومسند الحميدى ومسند الامام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنهم جميعا ، وبالله تعالى التوفيق .

ولم لك قد لمست معنى أيها القارىء ، وقد اطلعت على هذين النموذجين ، مبلغ التطويل فى المسانيد المعللة ، وهو تطويل غير ناشئ عن كثرة الأحاديث بها بل عن التحليل المفصل للمسانيد والأطناب فى ذكر حياة الرواة والاستطراد بذكر القصص والنكات ، واستيعاب الطرق الموصلة للحديث أو للصحابى راويه أو لراو دونه ، ولعلك تتفق معنى أيضا أن هذه الطريقة مع ما فيها من طرائف علمية وفوائد تاريخية ونقدية وأدبية خروج عن القصد الأول من



- 
- (١) « تذكرة الحفاظ » للحافظ الذهبي . ص ٤٠٢ .  
 (٢) « الرسالة المستطرفة » لأحمد بن جعفر الكتانى (دمشق ١٩٦٤ ) ص ٦٢ .  
 (٣) « تاريخ التراث العربى » (الجزء الأول) ص ٢٧١ .  
 (٤) « تذكرة الحفاظ » ، ص ٥٧٧ .  
 (٥) نفس المرجع .  
 (٦) المرجع السابق ص ٩٥٥ و ٩٥٦ .





# وشا ورحم في الأمر

للدكتور  
أحمد الحوفي

فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يجتنبون كبائر الآثام والفواحش ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ) ( ١ ) . وأمر الله تعالى رسوله الكريم أن يستشير المسلمين — فيما لم ينزل عليه وحى فيه — ليستظهر بآرائهم وليطيب نفوسهم ، ويرفع من أقدارهم وليربيهم التربية التي تكفل لهم صلاح

من خصائص الإسلام أن قدر العقل وحصن التفكير ، وكفل للفرد حرية الرأي ما لم تعارض أصلا من أصول العقيدة أو العبادة . فكان من الطبيعي أن يستن الشورى ، لأنها الوسيلة إلى استبانة الآراء وتمحيصها ، والاهتداء إلى خيرها . لهذا أمر القرآن الكريم بالشورى ، وقرنها بالإيمان والاعتماد على الله تعالى ، وبالبعد عن الآثام ، وبإقامة الصلاة ، وبالاتفاق في سبيل الله وبالجهد لأعزاز الحق وإعلاء كلمة الله ، قال تعالى ( فما أوتيتم من شيء

ما كان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه فيما لم ينزل به وحى وكثيرا ما كان يعمل بمشورتهم ويعدل عن رأيه ، ولهذا قالت السيدة عائشة ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله . (٣)

وعن ابى هريرة — ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله (٤) وحسبنا ان نسوق الامثلة الآتية : —

١ — قبيل موقعة بدر نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى ماء من بدر فقال الجباب بن المنذر — يارسول الله ، أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الراى والحرب والمكيدة ؟ قال رسول الله بل هو الراى والحرب والمكيدة .

قال الجباب — يا رسول الله ، ان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزلهم ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله لقد اشرت بالراى ونهض رسول الله ومن معه فصار حتى اذا اتى اقرب ماء الى القوم نزل عليه ثم أمر بالآبار فردمت وبنى حوضا على البئر التى نزل عليها فملئت ماء . (٥) .

٢ — فى يوم بدر أسر المسلمون سبعين رجلا ، فقال رسول الله ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر يا رسول الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، وهم قومك وأهلك ، أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا .

أمورهم من بعده ، وجاء هذا الأمر عقب وصف النبى عليه الصلاه والسلام باللين والرحمة والتواضع وطيب العشره ، وهى نعم خلقية أنعم الله بها عليه ، وعقب أن نفى عنه تعالى الغلظة والقسوة والاستبداد والغطرسة ، وهى رذائل براه الله منها ، ولو انه كان على شئ منها لنفر منه المسلمون ، وانفضوا من حوله ، فالأمر بالاستشارة فى هذا السياق يدل على أنها موصولة بمكارم الاخلاق قال تعالى ( فيها رحمة من الله لفت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله ) (٢)

أى اذا قطعت الراى على شئ بعد الشورى فاعتمد على الله فى المضى الى ما اعتزمت عليه مطمئنا الى انه الارشد الاصلح ، وان كان الله وحده هو الذى يعلم الارشاد والاصلاح ، وليست تعلمه أنت ولا من تشاورهم ، ولقد صدع رسول الله بأمر ربه ، فكان يستشير صحابته ، وكانوا هم يستشيرون بعد أن اختاره الله ، ولم يكن لهم من أرب الا تحرى الخير والصواب وصالح الامة ، حتى ان عمر ابن الخطاب احتجز بعض الصحابة فى المدينة فمنعهم أن يغادروها الى بلد آخر ، لانه محتاج الى استشارتهم .

وكان المسلمون فى عهد النبى والخلفاء الراشدين مطمئنين الى حرية آرائهم فاذا استشيروا اشاروا بما يعمتقون انه الحق ولم يحجموا عن اعلان آرائهم وان خالفت رأى النبى أو أحد خلفائه .

ولقد تعددت مظاهر الشورى فى عصر النبى وخلفائه الاربعة فكثيرا

فقال رسول الله ما ترى يا ابن الحطاب ؟  
فقال عمر — يا رسول الله دُبُوك واحرجوك ، وهم صناديد الحفـار وقاديبهم ، قارى ان بضرب اعناقهم .  
وقال عبد الله بن رواحه يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ، تم اضرمه نارا عليهم .

فسكت رسول الله ، ولم يجبههم ثم دخل ، فقال ناس ، ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ، ياخذ بقول عبد الله بن رواحه ثم خرج رسول الله ، فقال ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين ، وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم في قوله ا فمن تبعني فانه منى ، ومن عصاني فانيك غفور رحيم (٦) ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى في قوله : « ان تعذبهم فانيك عبادك ، وان تغفر لهم فانيك انت العزيز الحكيم (٧) ومثلك يا عمر مثل نوح قال ( رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (٨) ومثلك يا بن رواحة كمثل موسى قال ( ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم (٩) .

ثم قال رسول الله — انتم اليوم عالة ، فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق .

فلما كان الغد انزل الله عز وجل (ماكان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ( ١٠ ) ثم اعلنت لهم الفنائم ( ١١ ) .

٣ — لما علم ان قريشا متجهة الى

المدينة في عزوه احد قال لاصحابه امكنوا فان دخل القوم المدينة فاسألهم او رميهم من فوق البيوت ، لانه كان يخره الخروج الى المفرجين لقتالهم في البراح وهم ختره والمسلمون قلـه ويؤبر محاربتهم بالمدينة نفسها حتى تستطيع القلـه ان تبلى البـلاء المنشود .

ولكن هذا الراى لم يرق المسلمين الذين اسفوا على ما فاتهم من جهاد في غزوة بدر ، وفيهم رجال وشبان يحبون لقاء العدو ، ويشتاقون الى الاستشهاد ، فقالوا يا رسول الله اننا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا حتى لا يظنوا بنا جنبنا او ضعفا .

فقال عبد الله بن ابي بن سلول يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو لنا قط الا اصابوا منا ولا دخلوها علينا الا اصبنا منهم فدهمهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورمتهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين .

فقال الراغبون في الخروج اننا نخشى يا رسول الله ان يظن اعداؤنا اننا كرهنا الخروج اليهم خوفا منهم فيتجرؤا علينا .

حينئذ استجاب رسول الله لراى الاكثرين وعدل عن رايه وخرج للملاقاة قريش (١٢) .

وهنا عبر جديرة بان نتنبه اليها فان رسول الله حينما وجد الكثرة تريد الخروج دخل بيته فلبس لامته وتقلد سيفه ثم خرج اليهم فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فامتع فقل ما ينبغى لنبي لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل ويحكم

الله بينه وبين عدوه .

وهنا تتجلى ضروب من الشجاعة وبعد النظر أولها تدبير الخطيئة والموازنة بين قوة المسلمين وقوة قريش وإيتار ان يبقى المسلمون في مدينتهم ليردوا العدو المهاجم وهم أوفر منه قوة وأعز حصانة وأقدر على لقائه وان كانوا أقل منه عددا وعدة ولا تثريب على قائد في أن يقف مثل هذا الموقف لان الشجاعة تقتضى الهجوم تارة ، وتقتضى الارتداد تارة ، وتكون في المبادرة حيناً ، وتكون في التريث حيناً آخر .

وثانيها الاستجابة لحماسة الكثرة التي آثرت الخروج من المدينة للقاء قريش ، فانه لم يكن بد من هذه الاستجابة والجدوة متقدة والعزيمة ملتبهة ، والنفوس مثلهفة الى الاستشهاد في الدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، والا كانت هذه الحماسة عرضة لأن يخمد بها البقاء واختلاف الآراء .

وثالثها مضاء النبي في عزمته ، ورفضه ان يستجيب لدعوة البقاء بعد أن أعد عدته ولبس لأمته وأصراره على الا يضعها حتى يقاتل اعداء الله فإنه بهذا الإصرار أذكى شجاعة الصحابة جميعاً ، من كانوا يؤثرون الخروج ، ومن كانوا يؤثرون البقاء ، وخرج بهم جميعاً يقودهم الى لقاء الاعداء .

٤ - في غزوة الاحزاب اجتمعت قريش ومن والاها من العرب واليهود وعسكروا حول المدينة بضمها وعشرين ليلة ونقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله فعظم البلاء ، واشتد الخوف واثام العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن بعض المسلمين كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين ، فأراد رسول

الله أن يصلح قائدي غطفان على أن يرجعا عن المدينة ، ولهما ثلث ثمارها ، فبعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما فيما أراد ، فقالا - يا رسول الله أهذا أمر تحبسه فنصنعه أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من أن نعمله ، أم شيء تصنعه لنا ؟

قال رسول الله بل شيء اصنعه لكم ، اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب فاردت أن اكسر عنكم شوكتهم .

فقال سعد بن معاذ - يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة الاوثان ولا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون ان يأكلوا منا ثرة الا بيما أو قرى ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فقال رسول الله ، فأنت وذاك (١٣) ثم شاء الله أن يرتد المغيرة مذعورين مختلفين وان تسلم المدينة . ه - ولم يكلف رسول الله بتقرير الشورى وتدريب المسلمين عليها بأعماله بل اضاف الى هذا كثيرا من أقواله التي تحببها اليهم وتزينها في قلوبهم ، مثل قوله : -

استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا . وقوله المستشار مؤتمن ، اذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه . وقوله - من أراد أمراً فشاورة فيه أمراً مسلماً وفقه الله لارشاد أموره .

وقوله - من أشار على أخيه بشيء يعلم أن الرشدة في غيره فقد خانته . وقوله - لن يهلك أمرؤ بعد مشورة (١٤) .

٦ - ثم كان خلفاؤه الراشدون

يهتدون بسنته ، فهذا أبو بكر الصديق يستشير الصحابة في أمر المرندين فيشير عليه بعضهم ان يتمهل حتى يعود جيش أسامة فيقتنعهم بضرورة المبادرة الى حربهم لانهم أعضاء في الدولة ترمدوا عليها . وخرجوا على الدين الذي ارتضوه ، وإمها لهم يجرنهم ويجريء غيرهم على المعصية والفساد ، وتكشف الاحداث عن صواب رأى أبى بكر وينتصر الاسلام والمسلمون .

وحينما فتح المسلمون العراق والجزيرة والشام في عهد عمر بن الخطاب نشأ خلاف في تقسيم الأرض على الفاتحين أو بقائها في أيدي أصحابها يزرعونها ويؤدون للدولة خراجها .

وكان من رأى عمر وبعض الصحابة ان تبقى الأرض في أيدي أصحابها ملكا للدولة وعليهم خراجها ناظرا الى ان تقسيمها على الفاتحين نوع من الاقطاع ومراعي مستقبل المحرومين والمحتاجين الذين سيولدون فيها بعد ومشفقا على الخزانة العامة ان تحتاج في المستقبل فلا تجد .

ولم يحفل عمر بأن رأيه هذا قد يغضب المحاربين الفاتحين الطامعين في امتلاك الأرض التي غلبوا عليها

بسيوفهم وحسبوها غنيمة لهم . وقد فصل أبو يوسف وأبو عبيد (١٥) ما دار من مشاورة في هذا وذكر أن عمر قال — فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الأرض قد قسمت وورثت عن الآباء وصارت في حوزة الوارثين ؟ إن هذا ليس برأى .

فقال له عبد الرحمن بن عوف — فما الرأى ؟ أليست الأرض مما أفاء الله عليهم ؟ قال عمر — فإذا قسمت أرض العراق وأرض الشام فمن أين تسد الثغور . ؟ وماذا يكون للذرية والارامل بالحجاز والشام والعراق ؟ ثم قال — والله ما أريد الا الحق وقد رأيت ان أترك الأرض لزارعها ، وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون الأرض فيئاً للمسلمين من المقاتلة والذرية ومن يأتى بعدهم .

أرايتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . أرايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها ان تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرض ؟ فوافقوا عمر على رأيه .

هكذا أمر القرآن الكريم بالشورى وهكذا حققها رسول الله والرجال الذين رباهم رسول الله .

- (١٠) سورة الانفال ٦٧ ، ٦٨ .
- (١١) تاريخ الطبرى ٢/٤٢٩ .
- (١٢) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطالانى ٢/٢٢٢ .
- (١٣) تاريخ الطبرى ٢/٤٨ .
- (١٤) الأحاديث من كثر العمال في سنن الاقوال والأعمال لعلاء الدين الهندى ٢/٨٤ والبيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٠ .
- (١٥) الخراج ٣٧ الأبى يوسف والاموال ٤٠ لأبى عبيد .

- (١) سورة الشورى ٢٦ — ٢٩ .
- (٢) سورة آل عمران ١٥٩ .
- (٣) السيرة الحلبية / ٢٧٧ .
- (٤) المكشاف للزمخشري ١/٢٢٦ .
- (٥) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٢ .
- (٦) وتاريخ الطبرى ٢/١٧٧ .
- (٦) سورة ابراهيم ٢٦ .
- (٧) سورة المائدة ١١٨ .
- (٨) سورة نوح ٢٦ .
- (٩) سورة يونس ٨٨ .

# سورة الفاري

«ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون» .

قرآن كريم

## الحكمة في النصيحة :

مر ابو الدرداء على رجل أصاب  
ذنبا والناس يسبونهُ ، فقال لهم ،  
أرأيتم لو كان في بشر أكنتم مستخرجيه  
قالوا نعم .  
قال فاستغفروا لأخيك واحمدوا  
الله الذي عافاكم .  
فقالوا : افلا تبغضه .  
قال : انما ابغض عمله ، فساذا  
تركه فهو أخى .

## الجار قبل الدار :

قيل لأحد العلماء هل تجد نسي  
القرآن خذ الجار قبل الدار ، قال :  
نعم يقول الله تبارك وتعالى في سورة  
التحريم ( وضرب الله مثلا للذين آمنوا  
امراة فرعون اذ قالت رب ابن لى  
عندك بيتا فى الجنة ) فانت تراها فى  
دعائها ربها قد آثرت الجار فقدمت  
عندك على الدار .

## الحجاج التاجر :

بعث الحجاج بن دينار طعاما الى البصرة مع رجل وأمر أن يبيعه يوم  
يدخل بسمر يومه فأرسل له الرجل انى قدمت البصرة ، فوجدت سعر  
الطعام قليلا فى السوق فاخترنته حتى زاد السعر وبغته بكذا وكذا فكتب اليه  
الحجاج : انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به ، فاذا أتاك كتابى فتصدق  
بجميع ثمن الطعام على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من عذاب الله اذا فعلت .

## صوت السحاب :

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة : أسق حديقة فلان .

فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة ( أرض صلبة ) . فاذا شرجة ( سيل ماء ) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله .

فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته (فأسه )

فقال له يا عبد الله . ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟

فقال : اني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع ؟

فقال : أما إذ قلت هذا فإني أنظر الى ما يخرج منها ، فأصدق بثلثه ، وأكل أنا وعيالي ثلثا ، وأرد فيها ثلثه .

رواه مسلم

## الاذان والاقامة :

روى الإمام أحمد وأبو داود بسندهما عن عبد الله بن عبد ربه انه قال ( طاف بي من الليل طائف وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران ، وفي يده ناقوس يحمله ، فقلت له يا عبد الله أتبيع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت ندعو به الى الصلاة قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ فقلت بلى ، قال تقول الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر وردد عليه الفاظ الاذان التي يؤذن بها اليوم قال عبد الله بن زيد ثم استأخر غير بعيد قال ثم تقول اذا أتممت الصلاة الله أكبر الله أكبر — وردد عليه الفاظ اقامة الصلاة بما هو معروف منها الى اليوم .

قال عبد الله بن زيد : فلما أصبحت أتيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأخبرته بما رأيته فقال إنها لرؤيا حق ان شاء الله فقم الى بلال فألق عليه ما رأيته فانه اندى صوتا منك فقامت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن به .

# الاعلام العربي

## للاستاذ أحمد الفتاني

وتسير بها نحو مستقبل أقوى  
وأفضل وأحسن ازدهارا .  
ومن يراجع تاريخ الصحافة  
العربية والمسرح وهما أقدم وسائل  
هذا الاعلام العربى بآخرة من القرن  
الماضى وبداية هذا القرن ، ثم ينعم  
النظر فى المؤسسات ومن أسسها .  
من أين جاءوا وكيف زرعوا فى حقل  
الاعلام الاول يجد علامات كثيرة على  
طريق ملئوا بتثيّر الشك وتبعث على  
تأمل مشفق حزين . ولست أحب أن  
أدخل فى التفاصيل ، ولا أن أضرب  
حتى مجرد أمثلة من الاسماء  
وأصحابها ، وتاريخ حياة كل منهم فلقد  
يجر ذلك على اتهامات شتى بتهم  
الطائفية والتفريق وإثارة النعرات

أكاد أحس باختناق حقيقى حين  
يدعونى أمر الى فكر عميق فى شأن  
الاعلام العربى الى أين يسير بنا ؟ .  
والى أين نسير معه ونحن معصوبو  
الاعين ، مخدرو الإحساس .. الى  
أية كارثة جديدة أو مستقبل مظلم ؟  
الى أى مصير من الانحلال والضياع  
والغثيان ؟ الى أى جيل من الأبناء  
والأحفاد نزداد لهم انكارا ويشتدون  
علينا نكيرا ؟

لقد ولد الاعلام العربى فى معظم  
حالاته ان لم يكن فيها جميعا بين  
أحضان مؤسسات أجنبية ، غريبة  
الارادة والذوق والأهداف عن ذوق  
هذه الأمة وارادتها الحقيقية والأهداف  
التي تخدم صالحها وتقلل عثراتها ،



# نسمة إلى أين ؟

الفطريات السريعة التوالد قبيل وبعد الهزيمة في حزيران المشهور ، ورغم ضالة الفترة الزمنية فقد صلب عود هذه المؤسسات واشتد ساعدها ، وصارت تبث على قنوات متنوعة وبالألوان الجاذبة غير مكثفة بالأبيض والأسود . أما الاذاعات فانها في أثناء ذلك لم تعد تكتفى بالقدر المتواضع من ساعات البث بل أصبحت تملأ النهار كله وتغطي معظم الليل ببرامج متصلة يشكل الغناء خلالها المادة الغالبة ، ويشكل مستمعهه أنشط فئة في الزبائن المتعاملين معها . كذلك تعددت المجلات الدورية وراحت تتنافس في أداء مهام لا تختلف في جوهرها

والفتن ، وهي تهتم ما زالت تشهر كالسيف الباتر في وجه كل مسلم يروع وجدانه ما لقي ويلقاه المسلمون من عنف وكم أفواه واضطهاد حتى في البلاد التي تدين كثرتها الكثيرة بالإسلام .

ثم راحت تتوالد قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها الاذاعات الناطقة بالعربية ثم اذاعات البلدان العربية نفسها ، فيما كانت السينة قد رسخت جذورها في مصر وراحت تبسط ظلالها واتجاهاتها على سائر دور العرض في العالم العربي من حولها في كل اتجاه . كذلك انتشرت محطات البث المرئي أو التلفزة انتشار

عن الطابع العام لسائر وسائل الاعلام الأخرى .

وبينما تعتمد السينما والتلفزيون فى الغالب على الإنتاج الأجنبى ولا سيما الأمريكى والأوروبى ، ويتلو ذلك منتجات بيروت والقاهرة تعتمد الصحافة والاذاعة على إنتاج وكالات الأنباء الأجنبية والمترجمات والمقتبسات من صحف ومجلات أجنبية وبعض المواد والأخبار المحلية . وإذا استثنينا طائفة محدودة العدد من الصحف والمجلات الأسبوعية ممن تضطلع بدور مناوىء ورسالة مختلفة جدا وتصارع من أجل البقاء ، وتعيش على مساعدات وحسن نوايا المحسنين وبعض سخاء المعلنين فان سائر من فى الموكب الاعلامى ممن سواهم يغرفون من نبع واحد ، ويغسلون دماغ الأمة بطريقة واحدة ويحققونها بنفس الخدر .

إن أخطر وسائل الاعلام جميعا فى الوقت الحاضر ، وأبعدها أثرا فى المستقبل هى التلفزيون ما فى ذلك ريب .

وحين تسائل أيا من المسئولين عن أجهزة التلفزيون العربية فى موضوع البرامج ونوعياتها وفلسفة تقديمها للناس ، وعن السر فى كبر القطاع الأجنبى المستورد من المواد ، وعن الجنوح الى الهزل دون الجد فانهم يتدرونك فوراً بالأجوبة التالية ، يا سيدى الإنتاج العربى قليل جدا ، ونحن مضطرون للء الساعات بالمتوفر لنا من هذا الإنتاج . أما عن تفاهة المحلى القليل ونزعاته المثيرة للسخرية فهم يجيبون : هذا ما يريده الجمهور ، ونحن مصلحة تخدم الجمهور وتسليه وترفه عنه . .

تذكرنى هذه الحجج وأمثالها بحكاية شخص كان مختلط العقل بعض الشيء

راتبه الشهري لا يتيح له أكثر من فندق متواضع من الدرجة الثالثة فى فسحه الإجازة ولكنه كان يصر على النزول بأضخم فندق يجده حيث يكون ، فيما هو يحرج لبعض الوقت يسندين من هذا ويقترض من ذاك ليغطى نفقات الفندق الفخم وتسائلهم « ما الذى يحملكم على البت ثمانى ساعات متواصلة فى اليوم قد تصل الى عشر ساعات وأكثر يوم الجمعة ؟ . . لماذا لا تبثون أربع ساعات مثلا أو ثلاثا ويكون كل ما تبثونه نظيفا ممتعا وإن لم يخل من زوايا لتسليه نظيفة أو تمثيلية طريفة . ويجيبك أحدهم كيف أفعل أنا وغيرى لا يفعل واسكت أنا وغيرى يبث ؟ . . وتسألهم ما هذا الإنتاج المحلى الرخيص . ان من يرى مسلسلاتكم يظن أن الناس هناك لا ينشطون لعلم ولا لعمل يشغلهم هم سوى الرقص . كل موضوع تطرزونه بهذا الرقص المقلد السميح ، وكل حكاية حتى ولو كانت مأساة تخلقون فيها مناسبة للفزل ومقاهى الليل ومعاقرة الخمر فهل هذا هو شغل الملايين الشاغل من الباحثين عن أسباب الحياة فى بلادنا . وهذا الإنتاج البيروتى تنبعث منه رائحة المتاجرة الرخيصة بكل شىء من أجل الألبيرات . حتى الروايات الأدبية الضعيفة السند يزيذونها ضعفا وهلهة ومسحا . يصوغون قصصا عن الصحراء ليرضوا أذواق الناس فى الجزيرة فلا تكون قصصهم صحراوية ولا تظل حضرية ولكنها تخرج فى اطارات سمجة ثقيلة الدم . ويجيبك المسئولون أنفسهم ماذا نفعل لو لم يكن الناس يحبون ما نقدم لما عاودوا المطالبة به وتقول لهم : أنتم تهيمون الآن على عشرات من محطات البث التلفزيونى وتتصرفون

بموازانات ضخمة خيالية فما الذى فعلتموه فى جهد جماعى للهيمنة على المفتحين أو توجيههم ؟ من قال إنهم يستطيعون ان يخافوا عن ارادتهم لو شئتم ؟ ومتى حاولتم ان تفرضوا عليهم خط سير او سياسة معينة فلم يتجاوبوا معكم ؟

ولماذا لا تتفقون فيما بينكم على تحديد ساعات البث وفق المأمول من الانتاج الجيد وما تصل اليه مدده ؟ لماذا لا تبثون جميعا على قـدر ما يسعكم الممكن والمتوفر ثم تأخذون فى الزيادة على مهل وتدرج وعلى هدى وبصيرة .

وهذا الجمهور الذى تلففون باسمه ما تشاعون وتنسبون اليه ما تريدون وتزعمون اعراضه عما أنتم فى الحقيقة عنه معرضون متى استفتيتهم ؟ متى قمتم بدراسات علمية صحيحة لما تحب أكثره وتكره ثم هل أنتم تنفقون أموال الدولة للسير مع ما تزعمونه من رغبات الجمهور حتى لو كان جمهورا مغفلا أو جاهلا محمقا ؟ لهذا ترصد أموال الدولة ؟ أليست وسائل الاعلام أيضا هى وسائل تعليم وتنوير وتهذيب ؟ أليست محطاتكم هى دوائر رسمية تنفق من مال الأمة وليست شركات تجارية كما هو الحال فى كثير من البلدان الأجنبية التى تقلدونها إما بلا وعى أو ذوق ، وأما بتوجيه أسود خبيث متكرر ، عرف كيف ينتدب من أبناء الأمم من يعينونه على غسل دماغ شعوبهم كما يريدون .

نحن نفهم أن تشتروا لنا ما وسعكم الشراء من أفلام علمية لا سيما من مثل هذا الانتاج الأوروبى الذى يشرح الأحوال حتى فى قيعان البحار والمحيطات ، والأدغال والغابات ، أو يأخذ المشاهد فى رحلات سياحية

عبر الراين أو على شلالات نياجارا ، ونفهم عن هذا القصص التاريخى الفرنسى الجميل ، ونفهم عن هذه الأفلام التى تفتح آفاقا جديدة لمطامح الانسان للوصول الى الكواكب والتعامل مع الحياة فيها . . لكننا لا نستطيع أن نتذوق تلك الأفلام الدعائية فى تبرير اجتثاث الهنود الحمر من أمريكا . . ولكن عفوا ، لعلمكم تريدون سلوتنا نحن الذين اقلعنا من فلسطين بمشاهدة ما أصاب الهنود الحمر من قبلنا . . ومع ذلك فالهنود الحمر على رأى أفلامكم كانوا أهماجا ومعتدين شرسين فحققت عليهم لعنة الرجل الابيض فاجتثهم من أرض آبائهم وأجدادهم ، كما لسنا نفهم أيضا هذه السهرات من الغناء والفنون الأجنبية التى تتبرعون لاعادة تقديمها لنا ، ولا نفهم هذه السلاسل المتلاحقة عن الجريمة والمخدرات والجنس والفوضى الفاهرة التى على غرارها ولا نفهم هذا الكرتون من ادب الاطفال الذى يصب علينا صبا هكذا بلا ترجمة ولا إعادة تحرير .

ما شأننا نحن بسرقات البنوك الكبرى ، وبأثم المصيفين فى مونت كارلو ، وببؤامرات العصابات المحترفة فى هونغ كونغ .

وفى ليلة الجمعة . . ليلة التقرب الى الله من كل اسبوع تسرقون منا الشباب والاطفال لسهرات تدوم معكم الى ساعة التهويم بالنوم فى آخره من الليل ليكونوا أبعد ما يكون الناس عن ذكر ربهم بل أنتم تلاحقونهم بعد نهوض متأخر من اليوم فى غد التالى حتى تضمنوا انصراف يوم الجمعة فى كل شئ الا مرضاة الله تعالى .

ونحن نعلم بأسف بالغ وأنفس حزينة أنكم تستفتحون ببعض آى من الذكر الحكيم ، وتبثون بعض آى من

الإذاعة ، والله يشهد ان هذا منكم ومن برامجكم بعامة يدعوا الى الاشمئزاز والكراهية . انه صورة من صور الايجابية العازمة المستنيرة التى سنها دهاقنة الاعلام الاجانب فى تخدير العالم الاسلامى كله لبناء جسور من الثقة بين الوسائط الاعلامية وقطاعات كبيرة من الناس ليتهيأ لهما وضع أشد السموم اذى تحت ذلك الدسم القليل الطائش على سطوح الكؤوس .

ذلك غييض من غييض عن التلفزيون فماذا عن الاذاعة ؟

تقدم لك الاذاعات فى معظم الحالات لمنتصف الليل حديث الليل أو همس الليل .. ولقد يدوم هذا البرنامج فى غير اذاعة واحدة حوالى الساعة من الزمن فما هو نجوى القلوب وهمس الليل عندهم ؟ كلام من غرام فاضح كما يكون بين الخلاء .. شذرات موسيقى راقصة اجنبية .. عبارات يؤديها صوت انثوى متكسر ، وكلام يتوارى منه الحياء ، وينتحر على عباراته الشرف والمروءة .. ثم قد يختمون بماذا ؟ بآى من القرآن الكريم قبل ان يعلن ختام شوط طويل امتد من بعد الفجر الى منتصف الليل وشمل ما لا يقل عن خمس ساعات من الاغاني معظمها لمغنيات عرفن بالناضى الرقيق .. أما كلمات الاغاني فهى لا تتغير ولا تتبدل فى فحواها عن الحرقلة للوصال وشجو البين والاهوال وبكاء الفتاة على الفتى الاسمر ، والحيرة بين الابيض والاسمر .. أما البرامج الخاصة فأنت تستطيع ان تستغنى عن معظمها بقراءة ما يكتب على الروزناما ، وأما التمثيليات والمسلسلات فمعظمها مسلوق على عجل فى مطابخ بيروت الفنية كما

يسمونها أو موضبة بغير مهل فى القاهرة .

وماذا عن السينما ومراقبة الافلام السينمائية .. يخل الى المرء احيانا أن لجان مراقبة الاشرطة والافلام فى العالم العربى من النوع الهين اللين اليسر المسموح . ولقد علمت أن بعض اصحاب دور العرض ممن لا يرتوى لهم جشع فى مكاسب الافلام الخلية ، يبتدرون لجنة المراقبة فى بلدهم بصينية من أفخر الكنافة ، أو أكلة دسمة ينيلونها اياهم فيما يدور الفيلم الذى يريدون تغطية اعينهم عنه . ان حكايسة المرخص بعرضه من الافلام حكاية حزيننة ، ومنجعة وهى لا تقل إيلاما عن صور العرى والتجرد فى المجلات الوقحة التى تعيش على الهاب المشاعر الجنسية بالصور الداعرة ..

ان الفتى العربى المسلم لغريب الوجه واليد واللسان فى مدينة الاعلام العجيبة التى لا يمكن أن يرتقى الى رتب النواظير فيها الا طراز معين من الناس يوضع بينهم للتعمية رجل أو اثنان فى كل حالة ممن صالحت أخلاقهم ليكونا بمثابة التعويذة على جسم متهاك ولقد يقولون لك محتجين تعال أنت يا « شاطر » واقترح علينا ما نعبىء به برامج الاذاعة والتلفزيون ، أو نشحن به صفحات المجلات ، كأنها هم لا يعلمون أننا لو ربطنا تلك البرامج بالقطاعات التربوية والانتاجية والمعاهد والمؤسسات الجادة لم يظل صعبا أن تحصل على برامج هادفة .. ولو عرف سائر المنتجين الفنيين أن الغناء غير مقبول الا أن يكون مما يثير النخوة والرجولة والتسامى ويعكس أشرف عواطف الأمة والنفض الحى لقلوب أبنائها الشرفاء والمنتجين

لاتجه كل الغناء لآلحان شعبية هادفة،  
أو مصورة للطبيعة ومفاتيح الخلق  
الإلهي وحديث القلوب المملأ بالرجولة  
والشجاعة والمثل العليا .

لو قال المسئولون عن البرامج لا  
نقبل الأغنية إلا أن تصور معاناة  
العامل وكدحه في مصنعه ، والفلاح  
ومجالدته في أرضه ، والمغترب إلى  
المهاجر وأشواقه إلى وطنه ، والنازح  
من فلسطين وصوت الحنين في  
صدره ، والبحار وجهده على ظهر  
السفينة في الأيام العاصفة أو غير  
العاصفة . أغانٍ للمرأة التي تحترف  
خياطة الملابس لتربى أيتامها ،  
للطالب القروي الذي يسير أميالا  
ماشيا كل يوم ليستكمل في المدينة  
دراسته ، للتائر المناضل في طرق  
الموت على قمم الجليل أو في تيعان  
الأغوار . أغانٍ عن كفاح هذه الأمة  
وقصص عذابها وغصصها مع  
الاستعمار إلى آخر ذلك ، أقول لو  
عرف سائر المنتجين والمؤلفين  
والملحنين ذلك وعرفوا الجد فيه من  
المسئولين لغيروا اتجاهاتهم ووسائلهم

وتقربوا إلى أجهزة الدولة بما ترضى  
عنه وتسيفه .

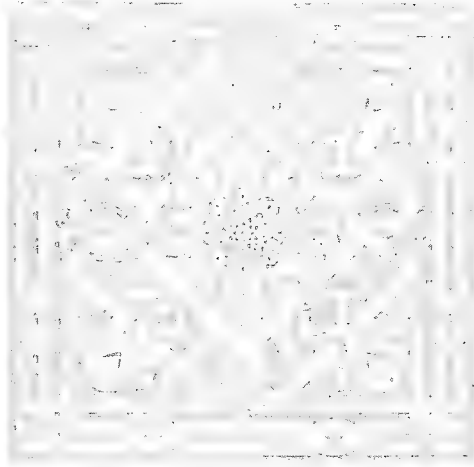
أهي وسائط اعلام وتربية ، وترقية  
ذوق ، ودفع لعجلات التقدم والعمران  
وتواصل قطع الأمة الممزقة المشتتة ،  
أم هي وسائط تسلية رخيصة  
وتخدير ؟

أهي أجهزة موكلة بغسل دماغ  
الأمة وجرها إلى التبعية الفكرية  
والفنية ، والسلوك المقلد الذليل ؟

أهي مراكز لتصريف الانتاجات  
البائرة أو غير البائرة ؟ أهي موجودة  
لذوق طائفة أو جماعة من الأمة دون  
سائر الأمة ؟

ما هي وسائل الاعلام العربي  
المعاصرة ؟ إنني شخصيا لست أدري  
وإذا كنت أدري شيئا فهو أنها تعيش  
في انفصال وغربة عن هذه الأمة  
وصالحها ..

ذلك ما أنا أدريه .. ولعل لا أكون  
إلا مخطئا .. فان ذلك ليس بمعدنى  
تماما . ومعذرة إلى الاعلاميين  
المخططين منهم والمنفذين في عالمنا  
العربي .





للدكتور احمد الشرباصي

وقد نتسائل فى هذا الباب — على سبيل المثال — فنقول : بم اهلك الله الجبابرة الطغاة الكافرين من اهل سبا ، حينما وهبهم جنتين عن يمين وشمال ، وقال لهم : « كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور » . ولكنهم طغسوا بكفرهم ، وتباهوا بقوتهم ، فماذا كانت النتيجة ؟ : « لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم » أى المطر الشديد « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل

من الاقوال الماثورة : « ان الله قد يضع سره فى اضعف خلقه » . والمثل العربى يقول : « ان لله جنودا منها العسل » . وخير من هذا واجمل قول الحق جل جلاله ، « ولله جنود السموات والأرضى وكان الله عزيزا حكيما » . وقوله سبحانه : « وما يعلم جنود ربك الا هو » . وفى ضوء هذه الكلمات المضيئة نفهم ان الضعف قد ينطوى على قوة مستورة تؤيدها عناية الله تبارك وتعالى ، فاذا قوة الضعف تهدد الجبال ، وتحير الالباب .

خبط وائل وشيء من سدر قليل ،  
ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى  
الا الكفور » .

فكان المطر — وهوقطرات ماء رقيق  
سائل — سبب الهلاك والدمار ،  
وجعل الله عز شأنه من الشيء  
الضعيف الرقيق المنساب قوة قوية  
مدمرة لأهل البغي والطفیان .

وحينما جاء أبرهة الاثرم يتحدى  
يرغى ويزيد مهددا بجبروته وجنوده  
العرب ، منذرا بهدم الكعبة ، ومعه  
الفيلة الضخمة الفليضة التي لا تعرفها  
العرب ولم تألفها ، حتى خاف أهل  
مكة فتركوها واعتصموا بالجبال  
والشعاب ، أظهر الله قوة في الضعف  
وجعل السبب الضعيف الضئيل سببا  
وسلاحا للقضاء على الجيش العرمرم  
الجرار ، ولم يرسل الله لإهلاك  
الفيلة حيوانات ضخمة مثلها ، ولا ما  
يقاربها ، بل أرسل عليها الطير  
الابابيل .

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب  
الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ،  
وأرسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم  
بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف  
ماكول » أي كتبن أكلته الدواب  
وتطايرت بقاياها .

وهذا (لوط) عليه السلام ،  
يتعرض لموقف الضعف والشدة ،  
حيث يهجم عليه اللثام الفاسقون من  
قومه ، يريدون الاعتداء الوضع على  
ضيوفه من ملائكة الرحمن ، ويتطلع  
لوط ، يبحث عن ناصر أو معين ، فيجد  
كل اللثام يقفون ضده فيقول كأنه  
يرجو اغاثة ونجدة « قال لو أن لى بكم  
قوة أو آوى الى ركن شديد » .

وجاء الجواب من ملائكة الرحمن  
« قالوا : يا لوط انا رسل ربك ، لن  
يصلوا اليك » واختار الله تعالى أن  
يكون تدميره لهؤلاء ولوطنهم بقطع من  
الحجارة الصغيرة المطبوخة بالنار ،

وهي حجارة متتابعة مسومة ، أي  
معلمة للعباد فتجلت منها القوة :  
قوة الضعف « فلما جاء أمرنا جعلنا  
عليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة  
من سجيل منضود ، مسومة عند ربك  
وما هي من الظالمين ببيعيد » ،  
« فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا  
عليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة  
من سجيل ، ان فى ذلك لآيات  
للمتوسمين ، وانها لبسبيل مقيم ، ان  
فى ذلك لآية للمؤمنين » .

وأمر « عاد » قوم هود غير بعيد من  
أمر قوم لوط ، فاذا كان هلال قوم  
لوط قد تم بقطع صغيرة متوالية من  
الحجارة ، فقد تم اهلاك عاد بالهواء  
بالريح العاصف « واما عاد فأهلكوا  
بريح صرصر عاتية » « لها صوت من  
شدتها » سخرها عليهم سبع ليال  
وثمانية أيام حسوما (مشنومات)  
فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز  
نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية »  
وأمر قوم نوح غير بعيد من أمر عاد  
فقد هلك قوم نوح بالماء « فكذبوه  
فأنجيناه والذين معه فى الفلك ،  
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، انهزم  
كانوا قوما عمين » .

وأمر فرعون وقومه غير بعيد من  
أمر قوم نوح ، فقد أغرق الله الطاغية  
بالماء ومعه أتباعه « فأنقمنا منهم  
فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا  
وكانوا عنها غافلين » . « فاتبعهم  
فرعون بجنوده ، فغشيهم من اليم ما  
غشيهم ، وأضل فرعون قومه وما  
هدى » .

وهذا هو رسول الله عليه الصلاة  
والسلام ، يخلق له ربه من الضعف  
قوة ، ومن القلة كثرة ، ومن الفقر  
غنى وثراء « ألم يجدك يتيما فآوى ،  
ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا  
فاغنى » ؟ .

**تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا  
السفلى ، وكلمة الله هى العليا ،  
والله عزيز حكيم » .**

وتأتى غزوة بدر الكبرى ، ويخرج  
نحو ثلاثمائة من المؤمنين ليلاقوا نحو  
الف من الكافرين ، ويشاهد الرسول  
فقر المسلمين وضعفهم وجوعهم  
وقلتهم ، فيدعو ربه قائلا عنهم « اللهم  
انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم جياع  
فأطعمهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ،  
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد  
فى الأرض » .

ويستجيب قيوم السموات والارض  
لرجاء الرسول صلوات الله وسلامه  
عليه فيخلق من الضعف قوة ومن  
القلة كثرة ، ومن الجوع شبعاً ، فاذا  
الضعاف ينتصرون على الأشداء  
« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة » ،  
— واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون  
فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم  
الناس فأواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم  
من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وهذا هو المكفوف يفقد بصره  
وفقدان البصر لون من النقص ، ولكن  
الله جل جلاله يجعل من هذا الضعف  
قوة فيعوض صاحبه ما يجعله فى  
حصانة وبراعة ، وكم فى المكفوفين  
من عبقریات تجلست فأدهشت ولو  
رجعنا الى كتاب « فى عالم  
المكفوفين » .

لرأينا العجائب بعد العجائب فى  
هذا المجال ، وهذا هو « أحمد  
شوقى » يخاطب سلطان مصر منذ  
عشرات من السنين ، فى شأن  
المكفوفين فى الأزهر الشريف ، فيقول  
له كالموجه المرشد :

**نظرا واحسانا الى عميانه  
وكن المسيح مداويا ومجبرا  
والله ما تدري لعل كفيفهم  
يوما يكون ابا الصلاء البصرا  
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد  
غبنا ، وجل المشتري والمشتري**

لقد كان فردا فصار أمة ، وكان  
أبياً فعلم الملايين ، وكان قليل المال  
فصار بالله أغنى الأغنياء ، وما زال  
صلوات الله وسلامه عليه ، يلتبس  
الغنى فى الفقر والقوة فى الضعف ،  
حتى أوتى من عزيمته وعزمه ، ما  
زعزع به أركان الأكاسرة والقيصرة  
**(( وكان فضل الله عليك عظيماً ))** .

ولعل الله تبارك وتعالى قد أشار  
الى قوة الضعف ، حين اختار  
الحمامة الاليفة الضعيفة — كما تقول  
بعض روايات السيرة — لتكون  
حارساً على باب الفار الذى لجأ اليه  
الرسول حين اختفى عن عيون  
المشركين ، وهو فى طريقه مهاجراً  
من مكة الى المدينة ، كما اختار  
العنكبوت — ان صحت الرواية —  
ليكون معاوناً للحمامة فى هذه  
الحراسة ، وكانت الحمامة الرقيقة  
النحيلة ، مع خيوط العنكبوت الهشة  
الوانية ، سبباً فى تعمية المشركين  
حتى لا ييصلوا الرسول وصاحبه حين  
اختفيا فى الفار .

وفى داخل الفار كان هناك مشهد  
أروع وأمتع لقوة الضعف ، فهذا أبو  
بكر رضى الله عنه ، يخاف على  
الرسول صلى الله عليه وسلم من  
سفه الشرك وبغى المشركين ، ويقول:  
يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى  
موضع قدميه لرآنا ، فاذا القوة  
العارمة المؤمنة ، تتجلى من الرسول  
فى موقف الشدة والضعف ، « فيقول  
« يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله  
ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله  
معنا » .

ويؤيد صوت السماء رجاء النبوة ،  
فيتنزل قول الحق « **إلا تنصروه فقد  
نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا**  
ثانى اثنين إذ هما فى الفار ، إذ يقول  
لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل  
الله سكينة عليه ، وأيده بجنود لم



المسرفين ، والذي تأله فى الأرض ،  
 (( فكذب وعصى ، ثم أدبر يسمى ،  
 فحشر فنأدى ، فقال أنا ربكم الأعلى ))  
 فماذا كانت العاقبة ؟ تحول التأله ذلا ،  
 وانقلبت القوة ضعفا ، (( فأخذه الله  
 نكالا للآخرين والأولى ، أن فى ذلك لعبرة  
 لمن يخشى )) . ولم يستطع فرعون  
 الطاغية ومن وراءه أشداء قومه أن  
 يدفعوا عن أنفسهم الأذى ، حتى ولو  
 كان فى صورة أرق الأشياء وهو  
 الماء .

وهذا هو « قارون » المفرور  
 بنفسه ، المجهور بقوته فى الحياة ،  
 وكثرة ثروته بين الناس « أن قارون  
 كان من قوم موسى فيضى عليهم  
 وآتيناه من الكنوز ، ما أن مفاتحه لتنوء  
 بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه  
 لا تفرح أن الله لا يحب الفرحين » .  
 وجاعته الموعظة العادلة الفاضلة  
 الهادية الى خيرى العاجلة والاجلة  
 « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة  
 ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن  
 كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد  
 فى الأرض ان الله لا يحب  
 المفسدين » .

ولكن قارون لم يسمع ولم  
 يستجب ، فهو غارق هناك فى أمواج  
 خيالاته ، وطوفان كبريائه فهو يتباهى  
 بقوته وعلمه ويفتر بثروته وماله ويظن  
 أنه بهذا يستعصم على الضعف ويتأبى  
 على الانكسار ناسيا أن الله جل جلاله  
 قادر على أن يبطش به كما بطش بمن  
 هو اقوى منه واطفى « قال انما  
 اوتيته على علم عندى ، اولم يعلم أن  
 الله قد اهلك من قبله من القرون من  
 هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا  
 يسأل عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج  
 على قومه فى زينته ، قال الذين  
 يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما  
 اوتى قارون انه لنؤخذ عظيم . وقال  
 الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير

وليس هذا الحديث الذى تقدم عن  
 « قوة الضعف » دعوة الى الرضى  
 بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو  
 دعوة الى استشعار القوة حتى فى  
 حالة الضعف ، دعوة الى التدبّر  
 بالرجاء والامل ، حتى فى مواطن  
 الشدة والبأس ، ودعوة الى بذل  
 الجهد فى أى حالة ، وعلى أى وضع ،  
 ودعوة الى اليقين بأن الله قادر على  
 أن يجعل من الضعف قوة ما دام  
 الانسان يجاهد بقدر ما يستطيع  
 (( واعدوا لهم ما أستطعتم من قوة )) .

• • • • •

واذا كنا قد حدثنا عن « قوة  
 الضعف » فلتحدث عن « ضعف  
 القوة » ، واذا كنا قد رأينا أن  
 الضعف قد ينطوى على قوة مستورة  
 تؤيدها عناية الله ، وضرنا على ذلك  
 الأمثال فاننا نستطيع أن نرى كيف  
 تتداعى القوة القائمة على غير  
 أساس سليم ، أو على مبدأ قويم ،  
 فاذا هى تتحطم وتنهار « والله غالب  
 على أمره ، ولكن أكثر الناس لا  
 يعلمون » .

وهذا مثلا هو « الشيطان » ، وهو  
 القوة الممثلة للشر والاثم والانحراف  
 انه يختال بجنوده ، ويفتر بأتباعه ،  
 ويزهو بمكره وكبده ، ولكن هذا  
 الطغيان يصبح أمام الايمان واهيا  
 ضعيفا ، والله جل جلاله هو الذى يقرر  
 ذلك ، فيقول « الذين آمنوا يقاتلون  
 فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون  
 فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء  
 الشيطان ، إن كيد الشيطان كان  
 ضعيفا » .

وهذا هو فرعون ، الذى طغى  
 وبغى ، وكان فى الأرض عاليا من

لن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا  
انصابرون » .

فماذا كان المصير ؟ ...

انقلب المز دلا والمعنى فقرا ،  
والقوة ضعفا « محسوبا به وبداره  
الأرضي ، فما كان له من فنه يبصرونه  
من دون الله ، وما كان من المسيرين .  
واصبح الدين بمنوا محاسنه بالامس  
يقولون ويكان الله ييسط الرزق لمن  
يشاء من عباده ويعدر ، لولا ان من  
الله علينا لخسف بنا ، ويكانه لا  
يفلح الكافرون ، تلك الدار الآخرة  
نجعلها للذين لا يريدون علوا في  
الأرض ولا فسادا ، والعاقبة  
للمتقين » .

الى انفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون .  
ثم تكسوا على رؤوسهم لعد علمت ما  
هولاء ينطقون . قال انعبدون من دون  
الله ما لا يفهمكم شيئا ولا يضرهم ،  
أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا  
تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم  
ان كنتم فاعلين » .

فماذا كان صنع الله القوى المتين ؟  
جعل الشدة هوانا واحال القوة  
ضعفا ، ومن خلال النار المحرقة  
المهلكة بعث الله السلام والنجاة  
« قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على  
ابراهيم . وارادوا به كيذا فجعلناهم  
الأخسرين » .

وهذا هو « النمرود بن كنعان » ،  
الملك الجبار المتمرّد ، الذي ادعى  
الربوبية وحاج ابراهيم في ربه وقال  
في شأنه القرآن الكريم « ألم تر الى  
الذي حاج ابراهيم في ربه ، ان آتاه  
الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى  
يحى ويميت ، قال أنا احى وأميت قال  
ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من  
المشرق فات بها من المغرب فبهت  
الذى كفر والله لا يهدى القوم  
الظالمين » .

فماذا يصنع القدر مع ذلك الذى  
بفى وطنى ، وتجبر وعنا ، وأثر  
الحياة الدنيا واغتر لانه احد الاربعة  
الذين قالوا إنهم ملكوا العالم وهم  
ذو القرنين وسليمان والنمرود ،  
وبختنصر ؟!

اختار الله لإهلاكه وإهلاك  
جنوده حشرة ضعيفة ضئيلة هزيلة ،  
هى البعوضة يقول التاريخ « فارسل  
الله عليهم ذبابا من البعوض بحيث لم  
يروا عين الشمس فسلطها الله عليهم  
فأكلت لحومهم وشربت دماءهم  
وتركتهم عظاما بالية » ودخلت  
بعوضة أنف النمرود ، فعذبه الله

وهؤلاء هم قوم ابراهيم عليه  
السلام ، يسرفون على انفسهم وعلى  
الناس فيسعون فى الأرض فسادا  
ويعبدون من دون الله عز شأنه ما لا  
ينفهم ولا يضرهم ولا يجديهم النصح  
والتوجيه شيئا ويعطيهم نبى الله  
ابراهيم درسا بليغا فى أن الأصنام  
لا تدفع عن نفسها شرا ، فكيف تدفع  
قليلأ أو كثيرا عن غيرها وهنا يثور  
الأموياء الأشداء السفهاء لكرامتهم  
المهزومة وعزتهم المزعومة ،  
ويجتمعون فى طغيان وبهتان ويقررون  
أن يعصفوا بالنبى الوحيد الفريد  
الأعزل ويختارون للخسف به أقسى  
أنواع العذاب وهو الاحراق بالنار ،  
جزاء له على تحطيمه أصنامهم  
وسخريته بضلالهم :

« فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم  
اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا  
بالهتتا انه لن الظالمين . قالوا سمعنا  
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا  
فاتوا به على أعين الناس لعلهم  
يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بالهتتا  
يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا  
فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا

الاشداء وتضايق به الاقوياء ولقد روى عن أحد الخلفاء العباسيين انه كان جالسا فى قصره فوقعت على وجهه ذبابة فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه . فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه ، وظل الأمر كذلك حتى غضب الخليفة وتضايق ، وهنا .. دخل عليه أحد العلماء فسأله الخليفة لماذا خلق الله الذباب ؟!

وكانهما أحس العالم بما كان هناك فأجاب قائلا لقد خلق الله الذباب ليذل به الجبابرة يا أمير المؤمنين ..

ليس هذا الحديث عن « ضعف القوة » تنفيرا من القوة أو تزهيدا فى الشدة والتماسك أو دعوة الى الضعف لأن الاسلام يدعو الى كل أنواع القوة الفاضلة « واعدوا لهم ما استنظمت من قوة » ولكننا نريد القوة القائمة على الايمان والعدل والخضوع لسلطان الله عز وجل « خذوا مما آتيناكم بقوة » ونريد القوة العادلة المتعادلة « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ».

يا أهل الايمان لا تخافوا قوة البنى فى الأرض فمن فوقها قوة السماء ، لا تهابوا الاقوياء السفهاء من الناس فان ثباتكم فى وجوههم مع رضى الله عنكم كفيل بأن يحطم بنيانهم ويهدم كياناتهم ، ويأتى عليهم من القواعد « لا يفرنك قلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد » انتزعوا من ضعفكم قوة تحيل قوة عدوكم ضعفا اعتصموا بحبل ربكم يجعل لكم من أمركم فرقانا وينصركم نصرا مبينا .

بها ، وجعل يضرب رأسه بالمطارق لكى تموت البعوضة أو تخرج من أنفه ولكنها ظلت تذيبه العذاب الوانا حتى مات الجبار ذو الاسباب مينة الكلاب وما أضعف قوة المخلوق أمام سلطان الخالق « **إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** » .

وهؤلاء هم أهل الكفر والضلال يمدون فى الدنيا بالملايين بعد الملايين وعندهم طاقاتهم وقدراتهم ولديهم أموالهم وثرواتهم ولهم جبروتهم وقد كفروا بربهم ، وتمردوا على خالقهم وعبدوا من دونه ما عبدوا من أصنام وأوثان ولكن الله جل جلاله يذل اغترارهم ويحطم قوتهم ويتحداهم أن يسخروا كل أسبابهم لاجساد حشرة ضعيفة هزيلة « **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** . ما قدروا الله حق قدره أن الله لقوى عزيز » .

والخطاب هنا لجميع الناس ابيضهم وأسودهم ، عربهم وعجمهم ، والتحدى موجود حتى مع اجتماعهم وتضامنهم « ولو اجتمعوا له » ، وموضوع التحدى هين يسير صغير ذبابة ، والذباب من أضعف المخلوقات وأصغرها والتحدى هنا نوعان إما أن يخلقوا ذبابة وإما أن يستردوا من الذبابة شيئا أخذته منهم وما هم بفاعلين « ضعف الطالب والمطلوب » وفى الحديث القدسى يقول الحق جل جلاله « **فليخلقوا مثل خلقى ذرة أو ذبابة أو حبة** » .

وهذه الذبابة الضعيفة يعطيها الله من الحيلة والوسيلة ما تقلق به

# حق الله على العباد

للاستاذ عبد الرحمن عبداللطيف

— مع شديد الأسى والرتاء — عطف الآباء أنفسهم على أولادهم ، فهم يكتفون أساهم ويسترون مخازي ابنائهم ولا يحبون — مهما كانت الظروف — أن تظهر عيوب أولادهم للخلق . وهم في هذا ليسوا بدعما فأبوهم نوح عليه السلام — كان المثل الصارخ في هذا والعزاء لكل أب عقه بنوه ، لقد كفر ابن نوح بربه وبأبيه ولم يؤمن رغم تكرار النصيح من أبيه وذهب مع القوم الكافرين ، فأخذه الطوفان مع من أخذ ، وحين ركب نوح ومن معه السفينة دعا ابنه لينضم إليه وإلى المؤمنين ( ونادى نوح ابنه وكان في معزل : يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ،

الشكوى من عقوق الأبناء كثيرة ، والكلام عن واجب الأولاد حيال آبائهم كثير أيضا حتى صار مكررا ومعادا ، والمكرر المعاد لا يكون له أثر الجديد ، وغالبا ما يكون ضعيف الجدوى قليل القيمة .

أذن فلنحاول أن نطرق الموضوع على هامش معانيه وجوانبه وأن نحوم حوله حتى لا نعيد ولا نكرر . إن سبب عدم جدوى نصيح الأولاد هو أن جريمة العقوق لم تنل حظا من التوضيح والمعرفة لدى الناس ، والا لقاومها المجتمع كما قاوم جرائم أخرى أقل منها قبحا وأضعف أثرا ، ولعل السبب في عدم وضوح جريمة العقوق وفهمها الفهم الصحيح هو

# حق الوالد على ولاده

بعض الناس مما تسبب في هذا الطوفان من العقوق نقول : يجب أن يعرف الناس أن مرتبة بر الوالدين في الطاعات تأتي بعد عبادة الله وتوحيده مباشرة وفي نفس الوقت هي مقدمة على الجهاد في سبيل الله حتى لو كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام يستأذنه في الجهاد فقال له ( أحي والداك ؟ قال نعم . قال : ففيهما فجاهد ) وفي خبر آخر ( نومك مع أبويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معي ) وأصطلح الناس على أن يصموا الفار من الجهاد بأقبح الصفات وأبسط ما يصفونه به هو

قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ) . ثم تحركت عاطفة الأبوة في نفس الوالد المكلوم فدعا الله كما حكى القرآن الكريم : ( ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين ، قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تفقر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ) . وحتى توضح ما خفى علمه على

الجبن والنذالة والخيانة وجريمته  
— على فحشها — أقل عند الله وعند  
الرسول من العقوق ومع ذلك فلم  
يصطلح الناس على أن يقولوا للعاق  
أنت نذل أو أنت جبان ..

— ولو قالوها لأرضوا الله  
وأرضوا رسوله الذى يقول ( من رأى  
منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع  
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا  
أضعف الايمان ) .

وقد يحار الانسان ويعجب من أن  
يقرن الله تعالى أمره بأدب الأولاد مع  
الآباء بأمره بتوحيده سبحانه وتعالى  
وعبادته — اذ يقول سبحانه  
( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا  
وبالوالدين احسانا ) ويقول عز وجل  
( وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه  
وبالوالدين احسانا ) وأن يقرن  
شكرهما بشكره سبحانه فى قوله :  
( ووصينا الانسان بوالديه )  
حملته أمه وهنا على وهن وفصاله  
فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى  
المصير ) .

وايضا فى ردع الخروج على  
هذا الأدب الاسلامى ووضع العقوق  
فى مرتبته بين جرائم الجحود  
— فيقرن بالشرك بالله — يقول  
الرسول صلى الله عليه وسلم :  
( عقوبتان معجلتان فى الدنيا :  
الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ) .

ثم تزول الحيرة والتعجب اذا  
عرفنا أن الاسلام حريص على أن يكون  
المسلم وفيه غير خؤون فيؤدى الأمانة  
ويحمل المسؤولية بشجاعة ومن غير  
جبن ، فلا ينكر الجميل ولا الفضل لمن  
أحسن اليه وليس لأحد فضل ولا  
جميل على المسلم الا الله سبحانه ثم  
أبواه . وانكار فضل الله وهو المنعم  
على الانسان كفر وجحود ودناءة  
— وانكار الولد فضل أبيه كفر  
وجحود ودناءة — فالجريمتان

متشابهتان ونابعتان من نبع واحد  
هو خسة النفس وضآلتها وهى  
صفات لا يرضاها الله للمسلم لأن  
الذى ينكر فضل الله وفضل الوالد  
لا يعرف يقينا فضل أحد سواهما وأن  
ادعى غير ذلك وهو قطعا غير جدير  
بوصف المسلم .

فمن صفات المسلم أن يكون  
شكورا لأن الأريحية والشجاعة  
يقتضيان منه ذلك ، وأن يشكر الله  
وشكر الله عبادته وشكر من أجرى  
النعمة على يديه ، أولى الناس بهذا  
هم الوالدان — على نعمة التربية  
والأيواء والصيانة والحفظ والتعليم ،  
فالولد الرجل لم يخرج من بطن أمه  
رجلا بل طفلا صغيرا ضعيفا لو سها  
الوالدان عنه لحظة لضاعت حياته ،  
فهما اللذان حفظاه وربياه وعلماه  
وجاءا ليشبع ، وتعريا ليكسى ،  
وحرما نفسيهما من كثير من المتع ،  
وأحيانا من الضرريات ليوفرا له ما  
يسره وما يشتهيه وما يكمله ويجعله  
انسانا مذكورا بين الناس .

إن بر الوالدين معناه طاعتهما ،  
يجب أن يعلم هذا ، وكلمة البر هنا  
لا تحمل معنى التبرع أو التطوع أو  
التفضل ولكن معناها الطاعة ،  
الطاعة المطلقة فطاعة الوالدين لازمة  
إلا اذا امر بالمنكر فلا طاعة لمخلوق فى  
معصية الخالق .

وهذه المعاملة الحسنة المطيعة  
واجبة للأبوين حتى ولو كانا كافرين  
أرأيتم ميزات الاسلام ؟؟ وأنعمه على  
الانسانية كلها ؟؟ يقول الله سبحانه  
وتعالى عن الأبوين الكافرين اذا كان  
لهما عهد : ( وإن جاهداك على أن  
تشرك بى ما ليس لك به علم فلا  
تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا )  
وفى صحيح البخارى عن أسماء  
قالت : قدمت أمى وهى مشركة فى  
عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبى

صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت  
النبي صلى الله عليه وسلم ( ان امي  
قدمت على وهى راغبة افأصلها ؟؟  
قال : نعم صلى أمك .

وايضا ما روى من ان عبد الله بن  
عبد الله بن ابي جلس الى النبي  
صلى الله عليه وسلم - فشرب النبي  
صلى الله عليه وسلم ماء ، فقال  
له : يا الله يا رسول الله ما أبقيت من  
شرابك فضلة أسقيها أبى لعل الله يظهر  
بها قلبه ؟؟ فأفضل له ، فأتاه بها فقال  
له عبد الله ما هذا ؟ - فقال : هى  
فضلة من شراب النبي صلى الله عليه  
وسلم جئتكم بها تشربها لعل الله يظهر  
قلبك بها ، فقال له أبوه : فهلا جئتنى  
ببول أمك ؟؟ فانه أظهر منها ، فغضب  
وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم  
وقال : يا رسول الله أما أذنت لى فى  
قتل أبى ؟ فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم ( بل ترفق به وتحسن اليه ) .  
أرايتم كفرا اشد من هذا الكفر ؟؟  
وسفولا فى الخلق وفى الكلام وفى  
الخطاب أسفل من خلق هذا الوالد  
الفاجر الذى تجرد حتى مما كان فى  
الجاهلية من بعض صفات الارحية  
العربية ؟؟

ثم أرايتم كيف يأمر الرسول صلى  
الله عليه وسلم ابنه بعدم قتله ، بل  
يأمره بالرفق به والاحسان اليه ..  
ثم أرايتم حق الابوة ومكانته فى  
الاسلام ؟؟ .. الطاعة والرفق  
والاحسان والمصاحبة الطيبة وصدق  
الله سبحانه ( فلا تقل لهما أف ولا  
تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض  
لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب  
ارحمهما كما ربياني صغيرا .. )  
ولنذكر مثالا لطاعة الوالد فى أمر  
يراه الابن : فى زماننا خاصا به وحده  
دون سواه .. وهو اختيار زوجته  
ومعاشرتها ، فقد روى عن عبد الله  
ابن عمر رضى الله عنه وعن أبيه أنه

قال : ( كانت تحتى امرأة أحبها ،  
وكان أبى يكرها ، فأمرنى أن أطلقها  
فأبيت ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله  
عليه وسلم فقال ( يا عبد الله بن عمر  
طلق امرأتك ) .

ويروون تفسيراً لهذه القصة أو  
تتمة لها أن الزوجة كانت جميلة  
وخشى عمر على ابنه من فتنة امراته  
وقد مر على بيتيه فى طريقه الى  
المسجد ولم يره خرج الى الصلاة ..  
وصدقت فراسة عمر .

وصدق الله سبحانه ( يا أيها الذين  
آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا  
لكم فاحذروهم ) .

ووجه العدواة أن الولد أو الزوج  
إذا فعل فعل العدو كان عدوا ، ولا  
فعل أشد قبحا من الحيلولة بين العبد  
وبين الطاعة ، وقد خشى عمر أن  
تشغل المرأة ابنه عن البكور فى  
الذهاب الى المسجد فكان طلاقها أمرا  
لازما أيده الرسول صلى الله عليه  
وسلم فيه ( وما ينطق عن الهوى ) .  
ومن تنطبق عليهم الآية الكريمة  
الزوجة الانثائية التى تعمل جاهدة  
على أن تستأثر وحدها بزوجه دون  
أهله وتوقع - لهذا - بينه وبينهم  
البغضاء والقطيعة ، يساعدها فى  
هذا ظروف الزوجية وملابسها  
وخلواتها ونعومة الحديث فيها ودوام  
الشكوى منها فى الوقت الذى لا يجد  
أهله هذه الظروف - ويترهقون  
بطبيعة مكانتهم عن هذه المساجلات  
الوطيئة ، ويتعالىون بالله ورسوله  
عن هذه المكائد الشريرة التى تتلخص  
فى نسبة الظلم منهم لابنهم وزوجة  
ابنهم .

وكون الوالدين يظلمان ابنهما  
أمرا لا يتصوره أبدا عقل سليم ..  
ففى الحديث الشريف عن الرسول  
صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( من  
أمسى مرضيا لوالديه وأصبح أمسى

وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة  
وان واحدا فواحدا — ومن أمسى  
وأصبح ، مسخطا لوالديه أمسى  
وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار  
وان واحدا فواحدا ، فقال رجل :  
يا رسول الله وان ظلماه ؟  
قال : وان ظلماه ، وان ظلماه ،  
وان ظلماه ؟.. )

والرسول صلى الله عليه وسلم لا  
يقر قطعاً الظلم ولا يرضاه ، ولكنه  
يرى بنور الله نور النبوة أن الوالدين  
لا يظلمان ابنهما أبدا ولو صدر منهما  
بسبب جهلها له وحدهما على  
مصلحته وتقويم أمره ما يخيّل اليه  
أنه ظلم أو ينقل له ويفسر من أذنان  
ابليس قراء السوء على أنه ظلم فلا  
يصدق ويحترس ويحذر استجابة  
للآية الكريمة : ( يا أيها الذين آمنوا  
ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم  
فاحذروهم ) ويقول سبحانه عنهم  
وتوضيحا لرسالتهم الفاسدة ( وقيضنا  
لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم  
وما خلفهم ) .

ولو آمن الوالدان بالله وحده  
واعتزا بالله وحده دون سواه من  
البنين والبنات ، ولو آمن الناس كلهم  
هذا الايمان واعتزوا هذا الاعتزاز  
وتأدبوا بأدب الرسول الكريم الذي  
أدبه ربه به فأحسن تأديبه والذي نقل  
هذا الأدب من الله عز وجل إلينا ،  
وهو يقول للزوج — لرب الأسرة —  
( الديموث الرجل يسكت على هنات  
أهله ) ويقول للمسلمين جميعا ( من  
رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم  
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه  
وهذا أضعف الايمان ) .

لو تأدب الناس بهذا الأدب لزال  
جريمة العقوق ، والدليل على هذا  
أنها استشرت حينما ضعف تدين  
الناس ولم يكن لها وجود يوم كان

الناس أصلاء متدينين في الماضي  
وأخيرا — ان عملى فى البرامج  
الدينية ، فى الاذاعة ( برنامج درس  
الجمعة ، وبرنامج رأى الدين ) كان  
سبيلا لورود كثير من المثـ~~ـ~~اكل  
والاستفتاءات بغية الوصول الى حلها  
وعلاجها عن طريق الدين وحكم  
الدين .

وكان مما وصلنى رسالة أعجبتنى  
ولا أكتّم أنها أضحكتنى لأن صاحبها  
كتبها ، مسرورا غير مقهور وابتساماته  
وقهقهاته يملآن سطورها .. يقول  
صاحبها : ( امتحنت بعقوق الولد  
الذى يتظاهر لا بالتدين فقط ولكن  
بالولاية أيضا وبحب الوالد وأطرائه  
وصبره على شدته وظلمه له ،  
ويستعد من الآن لتشريف أبيه عند  
موته بكل أنواع التشريف والحفاوة  
والتكريم ، مع أنه لا يزوره الا فى  
المواسم الرسمية ، ويقول الوالد :  
ما رأى فى هذا ؟ وأنا لا أستطيع  
السكوت عن قول الحق حيا وميتا ،  
ولا أستطيع السكوت عن هنات أهلى  
حيا وميتا ، ولا عن النصيحة حيا  
وميتا ، والمرشد الحق هو من أرشد  
الناس بعد موته كما أرشدهم فى  
حياته ) — وقد أعجبنى فى وصف  
هذه الحالة — الحالة التى شرحتها  
لك — قول الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى  
وفى حياتى ما زودتنى زادى  
فما رأيك ؟؟؟

وأنا لم أجد ردا بليغا على هذا  
السؤال الا كتابة السؤال واسماعه  
للناس لعل من تنطبق عليه أوصافه  
من الابناء لا ينشد شحه فى الحياة  
بالزاد ولا كرمه عند الموت بالندب .  
وما أروع وأصدق قول الله سبحانه :  
( بل الإنسان على نفسه بصيرة ،  
ولو ألقى معاذيره ) .



# دستور الأخلاق في القرآن

تأليف المرحوم :  
الدكتور محمد عبد الله دراز

ترجمة :  
عبد الصبور شاهين

عرض وتحليل :  
محمد عبد الله السمان

الفرنسية على حساب مشيخة الأزهر عام ١٩٥٠ ، وظلت فكرة تعريبها زهاء ربع قرن تتأرجح بين الأزهر ووزارة الأوقاف المصرية ، حتى قبض الله لتحقيق الفكرة من هم أهل لكل عمل جاد ، وكل جهد مشكور . .  
ولا أظن أن القراء بحاجة إلى التعريف بالمؤلف رحمه الله ، وهو من العلماء الأفاضل ، القلائل ، الذين توافر لهم بسطة في العلم ، وقوة في الإيمان ، وعزة في النفس والذين قدر لهم أن يعرفوه عن كثب ، يدركون

هذا الكتاب القيم الذي أسهمت في نشره دار البحوث العلمية بالكويت ، ومؤسسة الرسالة في بيروت يقع في زهاء ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وهو الدراسة التي استوعبتها الرسالة الأساسية التي نال بها المؤلف دكتوراه الدولة من السوربون حيث نوقشت أمام لجنة مكونة من خمسة من أساتذة السوربون والكوليج دي فرانس في ١٥/١٢/١٩٤٧ ، وقد كتب المؤلف الرسالة بالفرنسية ، وطبعت النسخة

أن المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز نموذج رفيع لعالم الدين قد لا يتكرر الا كل حين ..

أما دراسته التي بين أيدينا : ( دستور الأخلاق في القرآن ) فهي على المستوى العلمى الرفيع ، ولا أظن أن كلمات — أيا كانت — تقى حقها من التقدير ، وقد قدم لهذه الدراسة بمقدمة موجزة مركزة الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية ، الذى قام أيضا بمراجعة الرسالة ، وقد عاش معها مرتين : مرة أثناء تأليفها — حيث كان يدرس فى باريس ، ومرة أثناء ترجمتها ، والحق ، أن المقدمة — على إيجازها تلقى أضواء على هذه الرسالة الجامعية ، هى بمثابة خلاصة سريعة للأفكار الرئيسية فيها تيسر للقارئ استيعاب هذه الدراسة القيمة .

كذلك كانت كلمة المعرب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين أستاذ مساعد الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة — جديرة بكل تقدير لأنها بمثابة تقييم فنى دقيق لرسالة المؤلف ، والدكتور عبدالصبور شاهين الذى قضى ثلاثة أعوام متفرغا لهذا العمل الكبير ، عاش بعقله ووجدانه مع هذه الدراسة القيمة ، فهو ليس متمكنا من اللغة الفرنسية — وحسب — بل هو أيضا متمكن من دراسة الفكر الإسلامى لذلك لم يشأ أن يقوم بعمل آلى يهتم بالدقة فى الترجمة الحرفية للنص الفرنسى ، وإنما أراد أن يقدم عملا متكاملا أقدم عليه ، مدركا أن غيره من العلماء القادرين على الترجمة ، تردد أكثر من مرة فى قبول هذا العمل ، وانتهى به المطاف الى الرفض بأدب لأن دراسة

تنسب الى المؤلف العالم الجليل ، لم يتوقع لها إلا أن تكون على مستوى من العمق يحتاج فى نقله الى العربية الى جهد مضمّن — لا يتوافر له العلم والأناة وحسب — بل أيضا القدرة على الصياغة العربية التى تقارب فى أساليبها ، أسلوب المؤلف البلاغى العميق ، الذى نلمسه فيما كتب باللغة العربية .

إن الهدف الرئيسى من هذه الدراسة — كما يقول الدكتور السيد محمد بدوى — هو إبراز الطابع العام للأخلاق التى تستمد من كتاب الله الحكيم ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية، وتجهيز على الكتاب من أوله الى آخره ، فكرة رئيسية ، هى أن الحاسة الخلقية انبعت داخل قطرى وأن القانون الأخلاقى ، قد طبع فى النفس البشرية منذ نشأتها : « ونفس وماسواها . فآلهما فجورها وتقواها » غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فىنا ناقص وغير كاف . ليس فقط . لأن العادة ، والوراثة ، وأثر البيئة ، والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية ، وليس فقط لأن شواغل الحياة فى الدنيا تستوعب القسوط الأكبر من نشاطنا الواعى بل أن ممارسة الأخلاق فى أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسية وهى أن الضمير إذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها ، وجد نفسه عاجزا فى غالب الأحيان عن أن يقدم فى جميع الظروف قاعدة ذات طابع عام ، تستأثر باعتراف الجميع فإذا تجاوزنا حدا معنا نجد أن ( اليقين ) الأخلاقى قد ترك مكانه للاحتتمالات والتردد والمتاهات وهذا هو السبب الذى من أجله بعث الله فى الناس — من حين لآخر — نفوسا متميزة ملهمة بالوحي الربانى .

المضمون نجد مرجعها اما الى  
ترجمات غير صحيحة ، واما الى  
تلخيص سىء ، واما الى الأمرين معا .

ثم يشير المؤلف الى أن هذا هو  
الدافع الأساسى الى هذه الدراسة  
فقد أصبح من الضروري أن يتناول  
الموضوع من جديد ، وأن يعالج تبعاً  
لمنهج أكثر سلامة ، من أجل تصحيح  
هذه الأخطاء ، وملء ، هذه الفجوة  
فى المكتبة الأوروبية وحتى نرى علماء  
الفرب الوجه الحقيقى للأخلاق  
القرآنية . .

### \*\*\*\*

قسم المؤلف الدراسة الى خمسة  
فصول :

فى الفصل الاول يبحث المؤلف فكرة  
الالزام — ان أى مذهب أخلاقى  
يستند فى نهاية الأمر على فكرة الالزام  
واذا لم يعد هناك الزام فلن تكون  
هناك مسؤولية ، واذا عدمت  
المسؤولية فلا يمكن أن تعود العدالة  
وحينئذ تنتفى الفوضى ، لا فى مجال  
الواقع فحسب بل فى مجال القانون  
أيضا فالى أى اتجاه يريد أن يقودنا  
بعض أصحاب النظريات من المحدثين  
أمثال ( جيبو ) فى كتابه ( نحو أخلاقية  
بلا الزام ولا جزاء ؟ اذن فكيف نتصور  
قاعدة أخلاقية بدون الزام ؟ اليس هذا  
تناقضا فى الحدود ؟ ويعرض المؤلف  
بعد ذلك لمصادر الالزام الأخلاقى لدى  
الفلاسفة والمفكرين ، فالفيلسوف  
الفرنسى (برجسون) يكشف فى تحليله  
العميق لقضية الالزام الأخلاقى عن  
مصدرين : هما قوة الضغط  
الاجتماعى ، وقوة الجذب ذى الرحابة  
الانسانية ، المستمدة من العون  
الإلهى ، وهى قوة أوسع مدى من

يجدر بنا هنا قبل أن نعرض  
لموضوع الدراسة القيمة ، أن نجل  
للقارئ الفكرة الرئيسية لدى المؤلف  
— رحمه الله — والتي حدث به الى  
اختيار دراسة مضمينة شاقّة وهذا  
ما يلهمه من واقع مقدمته ، وهذه  
كلمات وجهها الى القارئ نفسه حيث  
يقول : ( ولسوف يكون لدى قارئنا  
الواعى فرصة أن يقدر الى أى مدى  
يوفى كتابنا — الذى نقدمه اليوم  
اليه — بهذه الشرائط المطلوبة فى  
التأليف — وهى التى تدعو دائماً كل  
كاتب أن يسير على نهجها فلم يكن  
شروعنا فى هذا المؤلف الجديد عن  
القرآن عبثاً نضيع فيه وقتنا ، ونثقل  
به على قرائنا ونزحم به مكتبتنا ،  
فاذا لم يأت عملنا بشئ جديد فى عالم  
الشرق أو الغرب ، فلن يكون سوى  
مضيعة وزحمة وإثقال . )

يرى المؤلف رحمه الله : ان فى  
مؤلفات علم الأخلاق العام ، التى  
كتبها غربيون — فراغا هائلا وعميقا  
نشأ عن صمتهم المطلق عن علم  
الأخلاق القرآنى ، وهذه المؤلفات  
تذكر لنا بايجاز أو بإفاضة ، المبادئ  
الأخلاقية كما ارتأتها : الوثنية  
الاغريقية ، ثم أديان اليهودية  
والمسيحية . . ثم تنقلنا بغتة الى  
العصور الحديثة فى أوربا مغفلة كل  
ما يمس الدستور الأخلاقى فى القرآن  
أما المحاولات التى تمت خلال القرن  
التاسع عشر من أجل استخراج  
المبادئ الأخلاقية من القرآن فقد  
كان اطارها فى الغالب محدودا ، كما  
كان مضمونها بعيدا عن المطابقة  
الدقيقة للنظرية القرآنية الحقّة فمن  
حيث الاطار نجدهم قد أغفلوا الجانب  
النظري من المسألة ، ومن حيث عيوب

الا لله — الا له الحكم — ولا معقب لحكمه .

وفى الفصل الثانى يبحث المؤلف فكرة ( المسؤولية ) فيرى أن فكرة الالتزام ، يرتبط بها ناتجان ، يستلزم أحدهما الآخر بدوره ، ويؤيده ويدعمه ، هما فكرة المسؤولية ، وفكرة الجزاء التى سيعرض لها فى الفصل الثالث والواقع — كما يقول المؤلف — أن هذه الثلاث يأخذ بعضها بحجز بعض ولا تقبل الانفصام فإذا ما وجدت الأولى تنابعت الأخرى على أثرها ، وإذا اخفت ذهبتا على الفور فى أعقابها ..

وفى دراسة المؤلف لفكرة المسؤولية بحث الصفات العامة التى تنبع من تحليل هذه الفكرة ، ثم شروطها من الوجهة المزدوجة الاخلاقية والدينية ، وأخيرا جانبها الاجتماعى ثم قرر المؤلف فى النهاية أن القرآن تولى بصفة جوهرية وجهة النظر الاخلاقية ، وراح يقر فى هذا الصدد الشروط التى تتفق تماما مع مقتضيات المشروعة لأعظم الضمائر استنارة واهتماما بالعدالة ..

وفى الفصل الثالث ، بحث المؤلف فكرة الجزاء فالعلاقة بين الانسان والقانون تتمثل لأعيننا فى شكل حركة اقبال وإدبار ، مكونة من ( ثلاثة أزمنة ، ولقد كنا مع فكرة الالتزام ما نزال فى نقطة البداية ، ولكننا مع فكرة الجزاء نجد أن دائرة هذه العلاقة الجدلية سوف تنقل ، والجزاء هو رد فعل القانون على موقف الأشخاص الخاضعين لهذا القانون الذى هو مطلب لا يقاوم لأنفسنا وفرض صارم لضميرنا الجماعى وهو فى الوقت

سابقته ويرى المؤلف أن عرض ( برجسون ) هذا ، اذا نظرنا اليه على أنه وصف وتحليل لواقع معين نجده فى التجربة أمكن القول بأنه لم يغفل كثيرا من الأساس ، أما اذا تناولناه — على أنه نظرية فى الالتزام الاخلاقى — فان تحليله يحمل بعض الصعوبات وشيئا من الانحراف عن الجادة بالنسبة الى وجهة النظر القرآنية .. أما الفيلسوف ( كانت ) الذى كشف عن مصدر الالتزام الاخلاقى فى تلك الملكة العليا فى النفس الانسانية والتى توجد مستقلة عن الشهوة ، وعن العالم الخارجى معا ، فيرى المؤلف أن ( كانت ) قد أحسن صنعا ، برغم بعض النقص فى طريقة تقديمه لنظريته ، فإذا ما رددناها الى أبسط تعبير عنها ، وخلصناها من جميع مظاهر الدقة الشكلية ونزعنا التسمى والتشاؤم ، ومن بعض ما شابها من البرود العاطفى ، فهى بعد هذا لا تعد من المسلمات فحسب ، بل انها لتتفق تماما — فيما نرى — مع النظرية المستخلصة من القرآن .

ويطرح المؤلف — رحمه الله — تساؤلا : هل للشريعة الاسلامية مصدر واحد أو عدة مصادر ؟ ثم يعقب قائلا : ان الفقهاء قد حددوا لها بعامة أربعة مصادر : القرآن والسنة ، والاجماع والقياس ، واذا كان التحليل الذى قدمنا صحيحا — باستثناء بعض التحديدات التى يجب أن نضيفها الى هذا القول — فلا ينبغي أن يكون لدينا سوى سلطة لشريعة واحدة بالمعنى الصحيح ، والقرآن ذاته لا يفتأ يؤكد لنا هذه الفكرة فى كثير من آياته : ان الحكم

نفسه أمر مقدس لضمير الفرد فى  
 اكمل صورة واقدسها .  
 ثم عرض المؤلف لليادين الثلاثة  
 للجزاء ، الجزاء الأخلاقى — الجزاء  
 القانونى — الجزاء الإلهى وعلى حين  
 أن الجزاء الأخلاقى والجزاء القانونى  
 بطبيعتهما ، لا يؤثر كل منهما مباشرة  
 الا على عنصر مختلف من الشخص :  
 الحاسة أو الضمير فان مما يميز  
 الجزاء الإلهى هو أنه يجب أن ، يكون  
 كلياً وكاملاً ، إن رحابة الفكرة القرآنية  
 عن الجزاء أمر بدهى ، انها ليست  
 نزعات خاصة لانسان ، ولا آراء  
 شخصية لفيلسوف ، ولا آراء شائعا  
 فى عصر أى عصر ، سواء كان  
 معاصراً للإسلام أم سابقاً عليه أم  
 لاحقاً به ولما كانت هذه النظرية  
 شاملة بفضل غايتها ،  
 أرادت أن تكون كذلك شاملة بفضل  
 منهجها ، ومن ثم — كما يقول المؤلف —  
 فان ما تركه الحكماء الأقدمون منذ  
 سقراط ، وما كتبه فلاسفة العصر  
 الحديث حتى ( كانت ) ، وما جاء  
 به القديسون والأنبياء منذ بدء الزمن  
 حتى موسى وعيسى — كل مذهب من  
 هذه المذاهب ، لا بد أن يجد فى  
 النظرية القرآنية احدى الصيغ التى  
 يوافق عليها .

وفى الفصل الرابع بحث المؤلف  
 « النية والدوافع » فالنية بالمعنى  
 الواسع للكلمة ، حركة تنزع بها  
 الإرادة نحو شيء معين ، سواء  
 لتحقيقه أو لإحرازه ، وتطلق كلمة  
 ( غاية ) أو ( هدف ) على ذلك  
 الموضوع البعيد من حيث هو حقيقة  
 مستقبلية يتعين السعى وراءها  
 وبلوغها ، ولكنه من حيث هو مبدأ أو  
 فكرة تحفز النشاط الإرادى ، وتهمد

له ، يطلق عليه ( باعث ) أو ( دافع )  
 وباعتبار أنها « باعث تصور » فكرة  
 الخير الأسمى حالة عقلية صرفة  
 تستخدم فى تسويغ العمل المعتمد  
 وجعله معقولاً ، لكن حين نتجاوز هذه  
 المرحلة العقلية نجد أن فكرة الهدف  
 تتمثل لنا كقوة محركة تدفع نشاطنا ،  
 وحين ننظر إليها من وجهة هذا التأثير  
 على الإرادة ، فاننا نطلق عليها اسم  
 الدافع ويقرر المؤلف أن فكرة القصد  
 أو النية فى كلتا الحالتين — ولانها  
 تتصل بواجب عمل — ينبغى أن تنطوى  
 هنا على ثلاثة عناصر تكوينية وقد  
 بحثها المؤلف بحثاً تفصيلياً دقيقاً ،  
 وهى تصور المرء لما يعمل ، إرادة  
 إحداثه ، ثم إرادته بالتحديد على أنه  
 شئ مأمور به أو مفروض .

وفى الفصل الخامس ، بحث  
 المؤلف ( الجهد ) ومفهوم الجهد  
 لا يتحدد بواسطة العمل بعمامة ، بل  
 بالعمل المؤثر الفعال بخاصة ، الذى  
 موضوعه مقاومة قوة ، أو قهر مقاومة  
 وهو تعريف متوافق ابتداء مع المعنى  
 المادى ، ولكنه يجب أن يتوافق أيضاً  
 مع المعنى الأخلاقى ، والتماثل بين  
 المجالين واضح جلى فعلى سعيد  
 الإبداع الخير ، يصادف الفكر غالباً  
 فى الموضوع ، وفى نفسه — عقبتين  
 ينبغى أن يتخطاهما : خمود المادة  
 التى يجب تحويلها ونقص الهمة فى  
 الإرادة الفاعلة والأمر كذلك عندما  
 يجب الامتناع عن الشر ، فى مواجهة  
 القوى التى تدفعنا إليه ، وفى هذه  
 الحالات جميعاً لا يكفى أن ( نفعل )  
 بل يجب أن نجاهد بقوة وإصرار . .  
 ثم عرض المؤلف بعد ذلك للجهد  
 البدنى وهو فى الإسلام لا يمكن أن  
 تكون له قيمة منفصلة عن مضمونه ،  
 فإذا كانت هناك أخلاق ترى فى الألف  
 النازل بأجسادنا ، من حيث هو قيمة

للواء الركن محمود شيت خطاب

- ١ -

كانا صديقين حميمين ، احدهما تاجر من طهران والآخر تاجر من اصفهان ربطت بينهما المعاملات التجارية المادية ، فكان كل واحد منهما يشهد لصاحبه بالاستقامة في المعاملة المادية .

وفي يوم من الأيام ، اتفقا أن يزورا معا الديار المقدسة والمسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ويؤديا فريضة الحج ، ويعودا معا إلى بلادهما : لا يفترقان ويتعاونان على البر والتقوى ، ويشد احدهما عضد أخيه ويعينه على تحمل مشقات السفر الصعب الطويل .

ولم تكن في تلك الأيام سيارات وقطارات وطائرات تقطع المسافات الشاسعة بوقت قصير ، وتجعل السفر الشاق مريحا ، بل كانت الخيل والجمال والحمير والبغال هي وسائل النقل للموسرين ، وكانت الأقدام هي الوسيلة الوحيدة لتنقل المعسرين .

وكان في كل بلد إسلامي رئيس قافلة معتمد ، وكانت القوافل من شتى البلدان الإسلامية ، ومعها حرس خاص من الجنود النظاميين أو من الجنود غير النظاميين ، لحماية القوافل المتوجهة إلى الديار المقدسة والعائدة منها ، وكانت الطرق محفوفة يومذاك بالأخطار ، مهددة بقطاع الطرق واللصوص ، وقصد الصديقان رئيس قافلة مشهورا بشجاعته

وامانتة ، فضمن لهما حمايتهما حتى يعودا سالمين الى بلادهما بعد اداء فريضة الحج ، وضمن لهما حملهما على دوابه ذهابا وإيابا .  
 وكان يوم خروج قوافل الحجاج من البلدان الاسلامية يوما مشهودا تعطل فيه المدارس والاعمال ، ويتجمع الناس لوداع الحجاج ، وتشارك الحكومة في احتفالات التوديع وتذق الطبول وتسهل الخيول ، ويوزع المال والطعام على الفقراء والمحناجين ، ويتعالى التكبير والتهليل .  
 وكما كان يوم خروج القوافل من البلدان الاسلامية يوما مشهودا ، كذلك كان يوم عودتها ، مع فارق بسيط هو ان التوديع تتخلله بعض العبرات ، والاستقبال تتخلله الزغاريد .  
 وقدم الاصفهاني الى طهران ، وانضم الى قافلتهما مع صاحبه الطهراني ، وخرجت القافلة مودعة باحتفال مهيب ، واتجهت من مرحلة الى أخرى سائكة الطريق البري : طهران — خانقين — بغداد — البف — جبيجة — حائل — المدينة المنورة — جدة — مكة المكرمة — عرفات .  
 وكان هذا الطريق البري الذي كان ولا يزال يسمى طريق الست زبيدة — زوجة هرون الرشيد — عامرا بالخانات والبيوت واحواض الماء ومراكز الشرطة ، وكان اقرب الطرق المؤدية الى الديار المقدسة لحجاج العراق والخليج العربي والمشرق الاسلامي .

— ٢ —

لم تخل رحلة الصديقين من منقصات ، فقد اصيب احدهما بالمرض حتى اشرف على الموت ، وتعرضت القافلة لهجمات اللصوص وقطاع الطرق ، وحدثت مشاكل يومية مع المسافرين والمسؤولين عن القافلة ، فكان احدهما يحب لآخيه ما يجب لنفسه ، بذل كل واحد منهما أقصى جهده بكل اخلاص لمعاونة صاحبه .  
 والصدقة تقوى وتشتد في ايام الشدة والعسر ، اكثر مما تقوى وتشتد في ايام الرخاء واليسر ، وهكذا توطدت صداقتهما واصبحت راسخة الاركان .  
 ورفقة الحجاج تؤدي الى صداقة لا تنسى ، فكل مودة لله تصفو .  
 وكان احدهما يقول لصاحبه : كيف استطيع فراقك بعد العودة الى الوطن ، فاسكن بلدا وتسكن بلدا ؟  
 وتعاهد الصديقان في البيت الحرام ، ان يزاورا باستمرار ، والا ينسى احدهما الآخر ، بعد العودة الى الوطن .  
 وعانت قافلتها من الديار المقدسة ، بعد ان صادف افرادها الاحوال في الطريق ، وكان قد مضى على خروجها عام كامل .  
 وسارع الاصفهاني بعد وصول قافلته الى طهران بالسفر الى بلده ، فقد كان بشوق غامر الى اهله ونويه .  
 وودعه صاحبه الطهراني ، وسار معه الى مشارف المدينة ونكره

بوعده الذى قطعه على نفسه فى البيت العتيق أن يزور صديقه فى طهران بأسرع وقت وأقرب فرصة .  
ووصل الى مدينة أصفهان ، وأمضى مع أهله ثلاثة أشهر وكانها ثلاث سنين فقد كان على أحر من الجمر شوقا الى صاحبه الطهرانى ورتب أمور متجره ، وقضى ما عليه من حقوق ، ثم يم شطر طهران .  
وكانت الحياة حينذاك سهلة بسيطة ولم تكن صعبة معقدة ، فقد عقدت المدنية الحديثة الحياة ، وضاعفت متطلباتها الضرورية ، وكانت أكثر الضروريات اليوم لا يعرفها الناس ولا يعتبرونها ضرورية أو غير ضرورية ، وكان بإمكان الرجل أن يعمل أياما ليعيش برفاه وسعة شهورا ، لذلك عاد الاصفهاني الى طهران بعد ثلاثة أشهر من وصول أصفهان ، وكان فى نيته أن يمكث فى ضيافة صديقه الطهرانى وقتا غير قصير .

### - ٣ -

ولمح الطهرانى صديقه الاصفهاني مقبلا ، فوثب لاستقباله مهرولا ، واخذه بالاحضان مقبلا .  
وكان الطهرانى فى متجره ، يحاور أحد كبار التجار فى صفقة كبيرة ، فاعتذر من ذلك التاجر قائلا : نؤجل الصفقة الى موعد آخر ، فقد شغلنى عن الصفقات والبيع والشراء حضور صديق العمر .  
وعمد الى متجره ، فاغلق ابوابه ، وقاد صديقه الى داره هائسا بائسا مستبشرا فرحا ، مكررا عبارات الترحيب الحارة .  
وفى الدار ، استضاف صديقه فى غرفة نومه ، وصرف زوجته منها ، وجعل تلك الصديق يرقد فى سرير زوجته زيادة فى الترحيب والاكرام .  
وحين حل موعد الفداء ، وكان الطهرانى قد حشد أصنافا من الطعام الفاخرة بما لا يقل عن عشرين صنفا ، وحشد نحو خمسين مدعوا من كرام الناس .  
وكان يقدم صديقه الاصفهاني للمدعوين واصفا اياه بأنه صديق العمر ، وان زيارته أمل العمر .  
وكما فعل فى وجبة الفداء ، فعل فى وجبة العشاء ، ولم يذهب الى متجره فى ذلك اليوم ، ملازما صديقه ملازمة الظل للانسان السائر فى الشمس .  
وبالغ فى اكرام ضيفه مبالغة نادرة : يصب الماء على يديه ويقترح عليه تبديل ثيابه ودخول الحمام ، ويتمنى على صديقه أن يطلب خدمة من الخدمات .. الخ ..  
ومضى اليوم الأول ، متجر الطهرانى مغلق وأعماله معطلة ، وبيته يبعج بالضيوف وأصناف الطعام ، وزوجته غاضبة ، وأهله منهكون ، وجميع أهل الدار يتمنون على الله أن يرحل عنهم هذا الضيف الثقيل .  
ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سأل الطهرانى صاحبه الاصفهاني : لعلك رضيت عن وليمتى الفداء والعشاء .



وقال الأصفهاني : أن ولائكم ممتازة ، ولكنها ليست أصفهانية . .  
وظن الطهراني أن صاحبه لم يرض عن ولائمه فعزم في نفسه أمرا .  
حشد في وليمة الغداء خمسين صنفا من أصناف الطعام الفاخر ،  
ودعا نحو مائة شخصية سياسية وعلمية .  
وكرر هذا الحشد الضخم من الطعام والناس في وليمة العشاء .  
وبالغ في إكرام ضيفه بمبالغة لا توصف .  
ولما آوى الصديقان إلى غرفة النوم ، سال الطهراني صاحبه  
الأصفهاني ( لعلك رضيت عن ولائم اليوم ) .  
وقال الأصفهاني ( ان ولائكم فاخرة ولكنها ليست أصفهانية ) .

— ٤ —

وظن الطهراني أن صاحبه لم يرض عن ولائمه منتقضا قدرها بقوله :  
( ليست أصفهانية ) ، وكأنه لم يستطع أن يأتي بما يفعله الأصفهانيون في  
ولائمهم .  
وعزم أن يرضى صاحبه الأصفهاني في ولائمه التي سيولها في اليوم  
الثالث من زيارة صديقه الحبيب .  
وكان اليوم الثالث من أيام الضيافة يوما نادرا مشهودا من أيام  
طهران في إقامة الولائم والبذخ في أصناف الطعام وعدد المدعوين .  
حشد في وليمة الغداء والعشاء كل صنف من أصناف الطعام المعروفة  
في طهران .  
حشد لإعداد الولائم كل طبخ مشهور وغير مشهور في طهران .  
ودعا لتناول الطعام مع ضيفه كل سياسي وعالم ومفكر ووجيه  
حتى بلغ عدد المدعوين ألف رجل أو يزيدون .  
ولما آوى الصديقان إلى غرفة النوم ليلا ، سال الطهراني صاحبه  
الأصفهاني ( كيف وجدت وليمتي اليوم ؟ ) .  
وقال الأصفهاني ( انها فذة حقا فاخرة حقا ، ولكنها ليست أصفهانية ) .  
وفي صباح اليوم التالي أسرج الأصفهاني بغلته وودع صديقه ،  
وسافر إلى أصفهان .  
وتنفس الطهراني الصعداء فقد أنفق على ولائمه مبالغ ضخمة من  
المال وعطل متجره وفارق زوجته في الفرائش وتنفس الصعداء أهل الدار ،  
فقد كادوا يموتون من الإجهاد والإعباء . وقال الطهراني في توديع  
الأصفهاني ( سآزورك وشيكا في أصفهان لأرى ولائكم الأصفهانية ) .

— ٥ —

وبعد أيام معدودات سافر الطهراني إلى أصفهان ، وهو أشد ما يكون  
شوقا لرؤية الوليمة الأصفهانية كيف تكون . كان الأصفهاني في متجره يبيع  
ويشتري حين وصل صديقه الطهراني ، وكان يحاور تاجرا كبيرا لمقصد  
صفقة تجارية ، فقام مرحبا بصاحبه ، ثم استأنف محاورته مع التاجر  
الكبير .  
وفي الساعة الثانية بعد الظهر ، وهو موعد أقفال المتجر ، نهض

الأصفهاني وأغلق متجره وقاد صديقه الى داره .  
وفي الدار أدخله الى غرفة الضيوف ، ولم تكن الفنادق شائعة  
حينذاك ، وكان في كل دار كبيرة غرفة معدة للضيوف ، وكل غرفة من تلك  
الغرف تحوى العديد من سرائر النوم والأغطية .

وفي تلك الغرفة قال لصديقه ( اختر لنفسك سريرا تنام عليه ،  
وساعدوك بعد دقائق لتناول طعام الغداء ) .  
وعاد الأصفهاني ، وسأل أن ياتوهما بالغداء ، وكان الغداء بسيطا  
هو المتيسر في الدار من طعام .

وبعد تناول الطعام استأذن صاحبه قائلا له ( ساهب الى المتجر  
الساعة السادسة بعد الظهر كما أفعل كل يوم ، وسأبقى هناك حتى الساعة  
الثامنة ، فان شئت رافقتني ، وان شئت أتيت وحدك ، وان شئت ذهبت  
الى المقهى ، وان شئت تجولت في البلد ، وان شئت بقيت في الدار . .  
انت حر ) .

وفي الساعة الثامنة مساء عاد الأصفهاني الى الدار ، فطلب  
العشاء ، وكان بسيطا اعتياديا هو ما يقدم للأهل كل يوم .  
وقدم الفطور للضيف في صباح اليوم التالي فتناوله الطهراني وحده  
في غرفة الضيوف وتناول الأصفهاني فطوره مع أهله .

وتكرر ذلك ثلاثة أيام طعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادي  
بسيط ، والأصفهاني يذهب الى متجره صباحا ومساء كالمعتاد ، ولا احد في  
دار الأصفهاني يعرف بوجود الضيف وهو يتنزه لأن الأصفهاني لديه في  
كل يوم ضيوف يتناولون الطعام الاعتيادي الذي يتناوله أهله في الدار سواء  
بسواء .

كان كل شيء بالنسبة للأصفهاني طبيعيا عفويا غير متكلف ، ولكن  
لم يكن كل شيء بالنسبة للطهراني طبيعيا فقد كان يعمل نفسه كل يوم  
بوليمة اصفهانية ، وحين لا يجد تلك الوليمة التي طال شوقه اليها وانتظاره  
لها ، يختلق لنفسه المعانير فيقول ربما أهله مريض ربما ستكون الوليمة  
غدا ، ربما ينهيها لها الأصفهاني ويعد لها العدة . ربما . . ربما . .  
ومرت بضعة أيام ، وطعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادي جدا ،  
يقدم للضيوف ما يقدم لأهل الدار .

ونقد صبر الطهراني ، فقال لصديقه الأصفهاني ( متى موعد الوليمة  
الاصفهانية ؟ لقد بذلت كل جهدي في الولائم الطهرانية ولكنك على ما يبدو  
فضلت عليها الولائم الاصفهانية وقد طال شوقي لرؤيتها وتذوقها ، فمتى  
أحظى بوليمتك المرتقبة ؟ ) .

وضحك الأصفهاني حتى استلقى على قفاه وبعد ان سكت عنه  
ضحكه قال ( يا صاحبي كل يوم في كل وجبة من وجبات الطعام ، تقدم  
اليك وليمة اصفهانية ) .

لم أكن أقصد حين كنت أقول لك عن ولائكم بانها ليست وليمة  
اصفهانية . . ان ولائكم غير فخمة ولا فاخرة كنت أقصد انها ولائم متكلفة ،

لأننا في أصفهان لا نتكلف لضييفا .  
 أننى حين قدمت طهران ضيفا عليك ، عزمتم على أن أبقي في ضيافتك ثلاثة أشهر على الأقل .  
 ولكننى حين رأيت ولائكم المتكلفة وتصرفكم المتكلف قطعت زيارتى بعد ثلاثة أيام رحمة بك وشفقة على عيالك .  
 وأنت اليوم إذا بقيت ضيفى ثلاثة أشهر أو ثلاث سنين ، فلن تكلفنى شيئا ولن يشعر بوجودك أحد من أهلى .  
 أن أهلى سبع عشرة نسمة بين ذكور وإناث ، ولن يزيد عليهم ضيف أو ضيفان أو ثلاثة ضيوف شيئا فى طعامهم أو شرابهم .  
 وحين أقدم اليك ما أقدمه لأهلى من طعام ، فقد رفعت اخوتك الى منزلة الولد والوالد والوالدة والزوج .  
 تلك هى الوليمة الأصفهانية .  
 إننا أمة الولائم ، نقضى فى إعدادها وقتا طويلا ونفق عليها المبالغ الحسيمة ، ونتحمل من أجلها ما لا نطيق ونحن على النطاق الاجتماعى والفردى ، نسرف فى الولائم اسرافا لا مسوغ له ، على حساب المال الذى يذهب بددا ، وعلى حساب الوقت الذى يذهب سدى .  
 ما ضرنا لو جعلنا ولائنا أصفهانية لنوفر على أنفسنا المال والجهد ، وعلى أهلنا المشقة والتعب ، وعلى الضيوف الوقت الثمين .  
 ما ضرنا لو أنفقنا المال الذى يبدد فى الولائم لاسعاد الفقراء والمحتاجين ، والوقت الذى ينفق فى إعدادها وشهوها فيما ينفع الناس .  
 لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلف لضيفه .  
 وحسبنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام قدوة حسنة ومثالا شخصيا .  
 وحسبك اكراما للضيف أن تقدم له ماتقدم لأهلك .  
 إن الذين يسرفون فى تقديم الطعام للمتخمين الذين ليسوا بحاجة اليه ، هم غير كرماء .  
 إن الكريم حقا هو الذى يقدم الطعام للمحتاجين اليه والمحرومين منه ، فمتى نضع الأمور فى نصابها الصحيح ؟ .  
 أن اطعام الاثرياء اسراف واطعام الفقراء كرم ، والكرم محمود ، والاسراف مذموم .  
 ومن المؤلم حقا ، أن الولائم الفاخرة من حظ الاغنياء ، أما الفقراء فليس لهم إلا الجوع .  
 فهل يمكن أن نصف الذين يولون الولائم الفاخرة للأغنياء والمتخمين بانهم كرماء ؟ أم يجب أن نصفهم بصفات أخرى منها الاسراف . . . والنفاق ؟ .

## — بقية كتاب الشهر —

جديرة بأن تطلب لذاتها ، أو باعتبارها نظاما لنجاة النفس فان هذه ليست أخلاق القرآن على وجه التأكيد ذلك أن هذه الأخلاق لا ترى أن يبحث الإنسان عن الألم البدنى صراحة فظلا عن أن تأمر به فهي قد فرقت تفرقة واضحة بين الجهد البدنى الذى يتضمنه واجب مقرر أو الذى يصحبه من وجه طبيعى ، وبين جهد مندوب هو ابداع خالص لهوى أنفسنا ، إن هذه الأخلاق ترفض هذا النوع الأخير من الجهد وتحرمه .

ثم يقرر المؤلف فى نهاية هذا البحث أنه لو افترضنا أن الانسانية سوف تبقى أبدا ، وانها سوف تغير ظروف حياتها الى ما لا نهاية فاننا نؤمل أن تجد فى القرآن — أنى توجهت — قاعدة لتنظيم نشاطها أخلاقيا ، ووسيلة لدفع جهدها ورحمة للضعفاء ، ومثلا أعلى للأقوياء .

إذا كانت الفصول الخمسة التى سبقت قد عالجت الجانب النظرى فى الموضوع ، فإن المؤلف بالنسبة للجانب العملى اكتفى بتقديم نماذج قرآنية فى فصول خمسة أخرى سريعة عرض فيها : الأخلاق الفردية والأخلاق الأسرية والأخلاق الاجتماعية وأخلاق الدولة ، والأخلاق الدينية ، ثم بعد ذلك اجمال أمهات الفضائل الإسلامية التى يميز بها القرآن المسلم الحق ..

وبعد :

فقد حرصت على قراءة الكتاب أولا ، قبل قراءة : مقدمتى المراجع والمغرب ، ثم ساءلت نفسى : هل تجود

الأيام بعقلية كمعقلية المغفور له الدكتور دراز ؟ وهل كان أو سيكون فى مقدور غيره أن يقدم الى المكتبة الإسلامية دراسة كهذه ؟ وهل هناك سر جعل من هذه الدراسة دراسة على أعلى المستويات وأرفعها ؟ وأرجأت الإجابة عن السؤالين الأولين ، ووجدت الإجابة عن السؤال الثالث ، فى كلمة المغرب اذ يقول : ( والحق أن المؤلف فيما أرى — لم يكن يكتب هذا العمل على أنه مجرد وسيلة الى هدف ، هو نيل اجازة دكتوراه الدولة فى الفلسفة من السوربون ، فقد كان بوسعه أن يحقق هدفه بأقل مما بذل من جهد ، ولكنه كان يحمل فى ضميره رسالة هذا الدين ) .

وأضيف : لقد أدى العالم الجليل واجبه وحسبه من العقوق لفكره العظيم ، أن ظل عمله الكبير فى انتظار التعريب زهاء ربع قرن ولست أدري بعد انجاز المهمة الصعبة ان كانت جامعاتنا الإسلامية وفى مقدمتها جامعة الأزهر سيقدر لها أن تفيد من هذه الدراسة المقارنة أم أن العقوق الذى رافق النص الفرنسى سوف يشمل النص العربى أيضا ؟

وكلمة إنصاف لا بد منها الحق : ان الدكتور عبد الصبور شاهين الذى قام بمهمة الترجمة ، لم يقم بعمله كما يقوم بأعمالهم سائر المترجمين وإنما بذل جهدا واضحا الأثر فى الدراسة ، ولقد عايش النص بعقله ووجدانه واقتنع بالعمل العظيم ، لذلك جاء جهده مشكورا ، وجديرا بكل تقدير ؟

# الفتاوى

## الحراس وصلاة الجمعة

### السؤال :

انا حارس من حراس الاسواق ، وفى يوم الجمعة لا اتمكن من صلاة الجمعة لأن طبيعة عملى تقتضى المرور بصفة مستمرة على المحلات ، فهل يعد هذا عذرا شرعيا يسقط عنى صلاة الجمعة ؟

### الإجابة :

إذا تعارضت حراسة المتاجر مع صلاة الجمعة سقط وجوبها عنك ، وعليك ان تصلى الظهر بدلا منها .

## الميراث

### السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأخت شقيقه وعمين وابن عم ، وليس له أولاد فما نصيب كل منهم ؟

### الإجابة :

للزوجة الربع فرضا وللأخت النصف فرضا ، والباقى لمميه ان كانا شقيقين أو لأب أما اذا كان أحدهما شقيقا والآخر لأب فللشقيق الباقى ولا شيء للأخ لأب ، ولا لابن العم لحجبهما بالأخ الشقيق .

### السؤال :

توفى رجل وترك بنتا وبنتا أخت وبنت أخ فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ؟

### الإجابة :

البنت تأخذ النصف فرضا ، وتأخذ النصف الباقى ردا ، ولا شيء لبنيات الأخ ولا لبنيات الأخت لأنهن من ذوى الأرحام .

## خروج الخطيب مع خطيبته

### السؤال :

ما حكم الشرع فى خروج الخطيب مع خطيبته للتزهد وما حكم الدين فى دبله الخطوبة ؟

### الإجابة :

خروج الخطيب مع خطيبته من غير أن يكون معها محرم حرام شرعا ، لما يترتب عليه من الخلوة التى نهى عنها الشرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخلوة بالنساء » ، أما دبله الخطوبة فإذا كانت من الذهب حرمت على الرجل دون المرأة ، وإذا لم تكن من الذهب حل للرجل لبسها .

## الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام

### السؤال :

ماهى الأدعية والأذكار التى يستحب للمصلى أن يدعو بها بعد التشهد الأخير وقبل السلام ، وماهى الأذكار التى يستحب له أن يقولها بعد السلام ؟

### الإجابة :

يستحب للمصلى أن يدعو بعد التشهد الأخير وقبل السلام بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة فعن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد الأخير ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء ، والدعاء بأى لفظ مستحب مطلقا إلا أن الدعاء بالوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ، ومن الأدعية الواردة ما روته عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الرجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم » .

وعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

ومن الأذكار والأدعية الواردة بعد السلام ما رواه ثوبان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا ثم قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام » .

ومنها ما رواه عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم فى دبر كل صلاة يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه ، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

# الوعي الإسلامي

بربر

اعداد : عبد الحميد رياض

## إن الدين عند الله الإسلام

يقول الله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » فما المراد من هذه الآية وما موقف الإسلام من الأديان السابقة ؟ .

حاتم أبو داود — الأردن

المفهوم من الآية الكريمة « إن الدين عند الله الإسلام » أن جميع أهل الأديان السابقة على الإسلام مدعوون إلى الإسلام ، فهو دين الله الحق وكل من حاد عن هذا الطريق مبتغياً عقيدة أخرى أو منهجاً آخر أو متصوراً الهداية في غيره أو متخذاً خطأ يعتقد أن الاهتداء فيه ، لا شك أنه قد جانب الهداية وترك الجادة وسار بخطى واسعة إلى الضلال والجاهلية ووضع نفسه في حيرة لا تنتهي إلى صواب .. فالدين الذي ارتضاه الله لعباده وفيه جماع الخير وبه خلاص النفوس من الزيغ والهوى والالتواء ، وبه ينال الإنسان خيري الدنيا والآخرة هو الإسلام وذلك لأمر الله الذي لا يتخلف ولا يتبدل ، ولقراره الفاصل في هذه القضية الإيمانية وحتى لا يكون هناك مجال لتخمين قوله تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

ومن يبتغ غير الإسلام وهو الاستسلام والطاعة لأمر الله والاتباع لنبيه فليس بمسلم يعنى كان ، فعبادته مردودة عليه مضروب بها وجهه .

ولذلك يوحى الله إلى رسوله : « فإن حاجوك فقلت أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أتوا الكتاب والأمين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فأنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

والإسلام ما جاء أبداً ليقول إن الأديان السابقة كاذبة أو كانت من خيال السابقين وأنها غير مؤيدة من السماء أبداً ما جاء الإسلام ليقول ذلك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله الإسلام للناس ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى يعلم أن الله أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى وهو الله الذي أنزل القرآن ، وكل هذه الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء تستهدف غاية واحدة هي هداية البشر وتنشدهم هدفاً واحداً هو إثبات وحدانية الله وتخليص النفوس من شوائب الشرك بالله ، وجاء الإسلام على هذا النهج ، ولكن الأولين من أهل الكتاب حادوا فقاتلت اليهود عذير ابن الله ، وقاتلت النصارى المسيح ابن الله ، وكذلك اتخذهم الأقباط والرهبان أرباباً من دون الله « اتخذوا أقبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » .

ومن هنا يتضح موقف الإسلام من اليهودية المؤلفة للعزير ، والمسيحية المؤلفة لعيسى ابن مريم ، فالإسلام دين التوحيد الخالص ، ولا مكان لعبودية

فيه إلا لله ، وهذه شريعة موسى وعيسى أيضا ، ولكن القوم من بعدهما بدلوا وغيروا وأحلوا وحرّموا وعبدوا من دون الله ما لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم ، وفعلوا ما لم يأمر به الله ، فضلوا وأضلوا وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فما هم بأهل كتاب وليسوا بمؤمنين وهم على غير دين ، ولو كانوا أهل كتاب أو دين كما يدعون للبوا دعوة الحق عندما يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون معرضين في غرور واستعلاء « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » « ومن يتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » هذا هو موقف الإسلام من كل الأديان السابقة عليه وموقفه من كل من يتخذ لنفسه منها يخالفه وهديا غير هديه .

### الطواف حول الكعبة والوقوف بعرفة

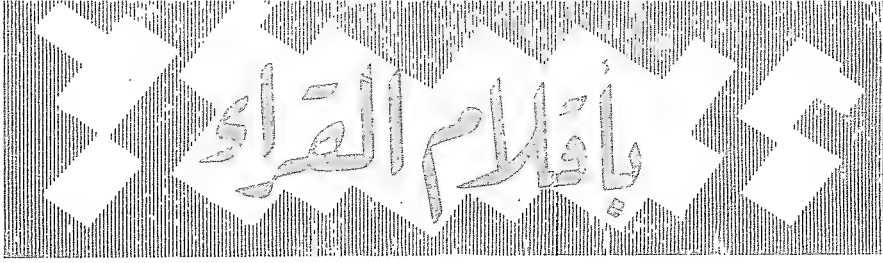
أرجو أن توضحوا لى حكمة الطواف حول الكعبة المشرفة والوقوف بعرفة ؟  
عبد الله الخطيب — سوريا

لما كانت منزلة البيت الحرام من الاجلال والتعظيم لا تفوقها منزلة ، ولما كان البيت الحرام قد أقيم في أشرف بقعة من الأرض ، وكان أول بيت وضع لتمجيد الخالق سبحانه وتوحيده « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا » . شرع الله له التحية المشعرة بأجلاله واحترامه ، وهذه التحية هي الطواف حوله . . هذا بالإضافة الى فعل الرسول الثابت وطوانه حول الكعبة وأمره المسلمين بذلك .

ومعلوم أن البيت حجر لا يضر ولا ينفع غاية الأمر أننا نعظمه تعظيما لأمر الله عز وجل ، وكل ما يذكر عند الطواف إنما هو تعظيم لله وإقرار له بالوحدانية وتسليم له بالربوبية وتنزيهه عن الشرك والشركاء . وكذلك الوقوف بعرفة إنما هو اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كذلك سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشعارا بفضله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت وقالت الأنبياء قبلى عشية يوم عرفة لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » .

ومهما قيل حول مشروعية هذه المناسك وحول استنباط الأسباب والدوافع والحث على أدائها ، فالقول الفصل في هذا أنها أمور تعبدية ، تعبدنا الشارع الحكيم بها نؤديها طاعة لله وامثالاً لأمره وتعظيما لشعائره .





## التصوف

يقول ابن خلدون : انه من العلوم الشرعية وأصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا اتباعا لسلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ويقول التشتورى ( التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق بأخلاق الله ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم ولا برسم ) .

وقال بعض المعاصرين أن التصوف هو علم الأخلاق وعلم النفس والقول بأن التصوف هو الخلق إنما يجعل منه علما للأخلاق ولكنه مع هذا أشد ما يكون حاجة الى علم النفس التي تصدر عنه هذه الأخلاق ولقد ظن البعض أن من أهداف الصوفية الابتعاد عن الدنيا وطبيباتها كما ظنوا أيضا أن الصوفية انصراف عن الدنيا ونسيان أن الدنيا مزرعة للآخرة .

ولكن صفوة الصوفية قالوا بأن التعب في طلب العيش يكفر ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج وردوا ذلك الى أعمال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف أنه كان قدوة طيبة للإنسان العامل فقد كان يشتغل بالتجارة ولم يصرفه ذلك عن استخلاص نفسه والتوجه نحو الخالق بالعبادة والصلاة دون أن يعتكف في مكان ضيق من الأرض .

ولقد رسم الصوفية الطريق الأولى للوصول الى الله سبحانه وتعالى ولا بد للمريد من أن يجتاز أعقابها والعتبة الأولى التوبة وهي الشعور بالخطيئة والعزم الأكيد على الإقلاع عنها وبالتوبة تتفتح البصيرة وينشرح الصدر والعتبة الثانية أخذ العهد وهو رباط وثيق بين المتعاقدين على طاعة الله وتركه النفس مما علق عليها من الطمع والفورور ووسوسة الشيطان .

والعتبة الثالثة الورع وهو مقام الانصراف عن اللذات الشهوانية والتزام الطيب من القول والحلال من الرزق والقناعة .

والعتبة الرابعة الخوف : والخوف ينبعث من الورع والبعد عن مانهى الله عنه وامتنال أوامر الله تبارك وتعالى ، والخوف يسوق صاحبه الى المواظبة على العلم والعمل وهو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات .

والعتبة الخامسة : الخلوة وهي بمثابة المحراب لمريد الصلاة وقد تظهر من الإنسان وأقبل على ربه تائباً يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والعتبة السادسة : الزهد وهو انصراف الهمة الى الله وتخلي القلب عن الدنيا واحتقار ما فيها من طعام ، وليس الزهد أن يترك الدنيا وهي في قلبه بل الزهد أن يتركها من قلبه وهي في يده ، وليس الزهد الانقطاع فسي الصوامع والمساجد فالله سبحانه وتعالى يناجي في الحقل ويناجي في المصنع والمتجر وفي كل مكان .

وهناك عتبات أخرى كالصبر والرضا والمراقبة والتوكل وذكر الله .  
بهذه العتبات تصل نفس المؤمن بما غرس فيها من تلك الفضائل الى مراحل العبودية ثم مرحلة الحب الإلهي ويزداد الحب كلما ازداد الايمان وعلى مقدار الحب تكون السعادة ويكون النعيم .

والتصوف الحق هو طريق الاسلام لأنه طريق الأولياء والصالحين الذين قال الله عنهم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال ( ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ) ومن أخلاق المتصوفة : التواضع وعدم التكبر وقال الجنيد في ذلك التواضع و ( خفض الجناح لرب العتبات ) كما أن من أخلاقهم الحب والإيثار والنجدة وقد شرح شاب صوفي لأبي يزيد البسطامي حد الإيثار عند الصوفية بقوله ( اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا ) وقال ابو حفص الصوفي ( الإيثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة كما أن من أخلاقهم أيضا تلبية النداء ومعاونة الأخ الأخيه لا لغرض وإنما لوجه الله ) .

فالتصوفية هي طريق الله الى الحب الى خلق مجتمع انساني متعاطف متعاون مجتمع تسوده المحبة والتعاطف مجتمع يؤمن بالتكافل الاجتماعي ويؤمن بالأخلاق ، الأخلاق التي هي عماد المجتمع ، الأخلاق التي هي طريق الوصول الى مجتمع انساني نظيف ، ان الأخلاق الصوفية دعوة الى مجتمع شمهارة الحب والتواضع والإيثار والمساواة والمجتمع الذي يتصف أبناءه بهذه الصفات إنما يكون مجتمعاً طيباً يؤتى أطيب الثمرات ويعود على أبنائه بالخير .

فالتصوف وسيلة الى البناء والتعمير وسيلة الى تحقيق مجتمع مثالي والتصوف مدرسة لتربية العادات الطيبة وثورة على العادات البالية والصفات الكريهة التي تضعف من الايمان وتنتشر الفرقة والانقسام ان التصوف ثورة على الفساد ودعوة الى الحق والعدالة ومتى تمسك المسلمون بأخلاق السلف الصالح ومتى آمنوا وصدقوا وراقبوا الله نجحوا في حياتهم وآخرتهم وانتصروا على أعدائهم ، لقد انتصر المسلمون الأولون وعددهم قليل على الجماعات الكافرة التي جاءت من كل مكان ، ولكن الايمان ينتصر ، وكتب الله أن النصر لمن أطاعه وأن الهزيمة لمن بعد عن الصراط السوي وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه وهدانا طريق الخير طريق الحب .

# قالت صحف العالم

الايحاء الدينى :

للإيحاء الدينى اثره الهام فى تقوية النفوس الضعيفة ، ورفع الروح المعنوية فى الشعوب والأفراد ، لأن المتدين المؤمن الذى يركن فى جميع أموره الى قوة كبرى مهيمنة على الكون تجرى كل شىء وفق قانون عادل رحيم ، وقد يخفى علينا فى بعض الأحوال البعيدة ، ولكن عدله لا يخطئ ورحمته لا تنقطع ، هذا المؤمن المتدين يجد سلواه المطمئنة فى اللجوء الى الله رافعا أكف الصراعة اذا حزبه الخطب فتتسع امامه منادح الأمل ويثق فى غده المقبل ، وثوق من يعتقد أنه يأتى الى ركن شديد .

تصور شخصين داهمهما المرض المفاجئ ، فناهما على سريرين فى حجرة واحدة ، بمستشفى عام واحدهما يؤمن بإسلامه ويثق فى ربه ، ويراه عوناً فى الشدائد وعدته فى التائبات ، وثانيهما أضله الله على علم فاتحرف الى الإلحاد وكفر بوجود خالق يرعاه ويكلؤه ، تصور هذين المريضين وقد نزل بهما المرض نزولا خطيرا لاحت نذره ، وابتقت دواهيته ، وتصور ما يجول فى خاطريهما معا ، فأتاك ستعرف ان المريض المؤمن له أمل فى السماء يشرق عليه بالأمن فهو يعتقد ان العلة مهما اعضلت ، وان الداء مهما تفاقم فان قدرة الله عز وجل كفيلة بان تحطم كل عائق ، وكما احيا الله الميت دون ان يعجزه شىء فى السموات والأرض فهو قادر على ان يبدد العلة تبديدا وان يسطع فجر العافية بعد ظلمات المرض واذا ذاك تشرق الابتسامة على وجهه ، ويفى الرضا الى نفسه ، فاذا عاده عائد يشاركه شعوره الدينى وجده يحدثه بما يجول فى خاطره ، فاذا التفت الى اقراره المجتمعين حول سريريه ، وجدهم جميعا يؤكدون له ما يعلمه من رعاية الله وقدرته فهو لطيف بعباده ، يرعى برحمته الدودة فى الصخرة والنملة فى الجحر ، اذ وسعت رحمته كل شىء ، فكيف لا يسعف مؤمنا يلتجئ اليه ضارعا فى مأساته وهو نعم المولى ونعم النصير ، هذا الجو المؤمن المتعطر بآريج الأمل يمد المريض بقوة ترتفع به فوق الألم حتى اذا تم الشفاء رجع الى اهله مغتبطا بايمانه ، فاذا كانت الآخرة وتحقق وشوك نهايته ازداد طعمه فى جنة ربه ، وعرف أنه غفار وهاب يقول فى محكم كتابه : ( قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ) .

اما المريض الآخر فتشدد به العلة وتحبط به الكارثة ، ثم لا يدري الى من يلتجئ ويتجه ، فيتجهم له الناس ، وتنخفض قواه المعنوية انخفاضا يساعد على

تفاهم العلة ويزيد من برح الداء ، فاذا زاره عائد لا يستطيع أن يفتح معه أبواب الأمل في حديث ، وكيف يهم بذلك ؟ والحاد المريض قد سد أمام زائرته المنافذ ، ثم ران على نفسه بما يزيد من الهول فلا تجد الا تبرما بالداء وياسا من النجاة ، وصراخا حاقدا متضرما لا يملس برد العزاء ، فاذا تحقق المريض منهم نهايته ، سدت منافذ الأمل في وجهه ، واعتقد أن القبر حفرته النهائية فلا حياة قادمة مستأنفة ، ولا جنة ترجى بسعادة ورضوان ، أن هو إلا صخرة تفتت ذرات متضائلة ، ثم هوت بها الريح الى حيث لا التام .

عن مجلة التضامن الاسلامية

مسئولية مصر :

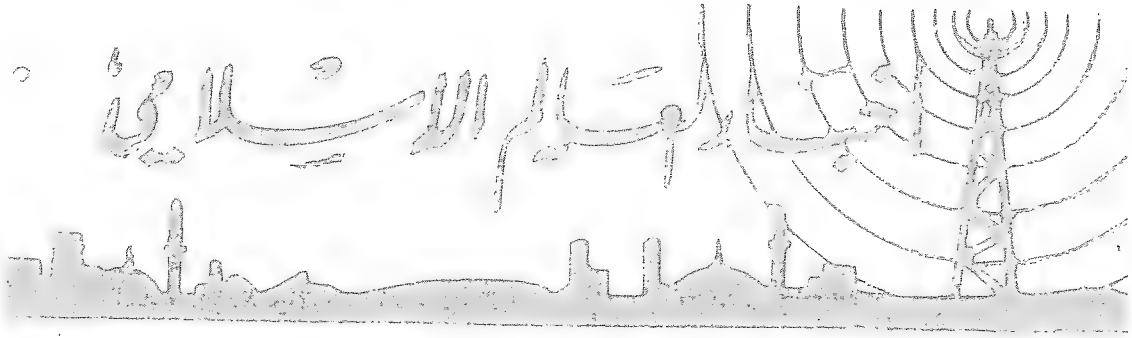
ان مسئوليتك يا مصر اوسع واعظم من تادية رسالة الأدب وخدمة لغة العرب ، وما تجودين على الاقطار العربية الشقيقة برشحات الثقافة الأوربية وفئات المدنية الغربية ، انك بين آسيا وأوربا فانت ملتقى الثقافتين ومجمع البحرين انك وسط بين مهد الاسلام ومشرق نوره ، وبين مولد الحضارة الغربية ومبعث العلوم العصرية ، فعليك مسئولية القارتين ، وعندك رسالة الثقافتين .  
فاما مسئولية آسيا والاقطار العربية فلا تخرجين منها يا مصر حتى تكوني قنطرة تعبر عليها الى البلاد العربية تجارب أوربا وعلومها ونشاطها وكدها في الحياة وجهادها للبقاء ، هنالك تقومين برسالتك ووظيفتك لهذه البلاد العزيزة ، التي ترتبطين بها برابطة دينية وروحية وثقافية وسياسية .  
واما مسئولية أوربا فلا تخرجين منها حتى تبلفي رسالة الجزيرة العربية — وهي الاسلام الذي احتضنته من زمان — الى أوربا وحل المشاكل التي اعبت كبار المفكرين واتعبت عطاء المشرعين ، وبذلك تؤدين واجب المقدس نحو هذه القارة الأوربية التي استوردت منها شيئا كثيرا من العلم والمصنوعات والمنتجات ونظمت عليها مدينتك وحياتك تنظيما جديدا ، وتحسينين اليها أكثر مما احسنت اليك وتصدرين اليها أفضل مما صدرت اليك .

عن صحيفة الرائد الهندية

ديننا :

ان الدين بالنسبة لنا نحن المسلمين ليس ضمانا للأخرة فحسب انه اضحى سياج دنائنا وكيف بقائنا .  
ومن ثم فاني انظر الى المستهينين بالدين في هذه الالام على انهم يرتكبون جريمة الخيانة العظمى انهم دروا او لم يدروا يساعدون الصهيونية والاستعمار على بلدنا وشرفنا ويومنا وغدنا .. !!  
فارق خطير بين عرب الأمس وعرب اليوم .  
الاولون لما اخطاوا عرفوا طريق التوبة ، فاصلحوا شأنهم ، واستأنفوا كفاحهم ، وطردوا عدوهم ..  
اما عرب اليوم فان الاستعمار الثقافي أحدث تخريبا شديدا في ضمائرهم وافكارهم ، وربما رأت الاله احد منهم يبلغ الاربعين او الخمسين من عمره ولا يعرف كيف يصلى اما حصيلة من سائر المعارف الاسلامية فتتذبذب عند درجة الصفر ..

عن صحيفة النور المغربية



## اعداد الأستاذ : فهمي الامام

● منح الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية قرضاً للصومال قيمته ٧٥ مليون دولار .

● شاركت الكويت فى احتفالات عيد النصر بجمهورية مصر العربية عن طريق وفد مجلس الأمة وبعض العسكريين .

● التقى معالى الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة كلمة الكويت امام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٩/٣٠ الماضى وكرس سعادة الوزير الجزء الأكبر من كلمته للحديث عن قضية فلسطين وعن الاجرام الصهيونى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية اجتماعاً برئاسة معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، ونظرت فى عدد من طلبات المساعدة .

● قررت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية طباعة المحاضرات التى القاها البروفيسور خورشيد أحمد خلال شهر رمضان باللغة الانكليزية .

## الكويت :

● يستقبل سمو أمير البلاد المعظم صبيحة يوم عيد الفطر المبارك وفود المهنيين بالعيد .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية تستغرق عدة أيام تعقبها زيارة خاصة لمدة سبعة أيام .

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمة العربى الذى سيعقد فى الرباط يوم ٢٦ أكتوبر الحالى .

● صرح معالى وزير الدولة السيد عبد العزيز حسين بأن تشكيل كتلة غربية ضد البلدان المنتجة للبترول لن يكون ذا فائدة فى حل أزمة الطاقة .

● أعلن رئيس الأركان للقوات المسلحة أن القوات الكويتية ستكون على أهبة الاستعداد اذا ما نشبت معركة جديدة ، وحذر سيادته من أساليب الدعاية الاستعمارية .

● سيزور الكويت الشيخ مجيب الرحمن رئيس وزراء بنغلاديش على رأس وفد رسمى ، وستتم الزيارة خلال الشهر القادم .

## مصر :

● احتفلت جمهورية مصر العربية على المستوى الرسمي والشعبى بالذكرى الأولى لحرب رمضان ... وقد شارك فى الاحتفال وفود رسمية من البلاد العربية .

● صدر قرار بإنشاء وكالة لشئون الثقافة الإسلامية تشرف على الإدارة العامة للوعظ والإرشاد ، وإدارة الثقافة والنشر ، وإدارة البحوث والعلاقات الخارجية .

● جرت فى القاهرة مسابقة فى حفظ القرآن الكريم بين طلاب الجامعات المصرية وجامعة الأزهر .. ووزعت الجوائز على الفائزين .

● تقرر تشغيل ثلاث بواخر مصرية لنقل ٢٤ ألف حاج مصرى فى موسم الحج القادم ان شاء الله .

## السعودية :

● أمر جلالة الملك فيصل بصرف خمسين تذكرة طيران لأداء فريضة الحج هذا العام لخمسین مواطننا من ماليزيا اعتنقوا الاسلام مؤخراً .

● حذر وزير النفط السعودى من أن الدول العربية ستقطع إمدادات البترول إذا نشبت حرب جديدة فى الشرق الأوسط .

وقال : إن هناك احتمال اندلاع مثل هذه الحرب ما لم يتم التوصل الى اتفاق حول إعادة الأراضى المحتلة وإعادة توطين اللاجئين .

## سوريا :

● احتفلت الجمهورية العربية السورية بالذكرى الأولى لحرب

رمضان .. وعمت الاحتفالات المدن السورية .. وصرح المسؤولون بأن المعركة لم تنته بعد .. وأنه لا بد من تحرير كل الأرض وإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

## فلسطين :

● وافقت ٦٧ دولة على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة القضية الفلسطينية بالأمم المتحدة .. ومن المنتظر أن يزداد عدد الدول الموافقة خلال الأيام القادمة .

## المغرب :

● استدعت وزارة الخارجية المغربية سفراءها فى البلاد العربية للاعداد لمؤتمر القمة العربى السابع ، والمقرر عقده يوم ٢٦ أكتوبر فى مدينة الرباط .

## أبو ظبى :

● تولى إمارة « الفجيرة » الشيخ حامد بن محمد الشارقى خلفاً لوالده الذى انتقل الى جوار ربه .  
.....

## نيجيريا :

● بلغ عدد سكان نيجيريا حوالى ثمانين مليون نسمة حسب إحصاء عام ١٩٧٣م منهم ٧٥٪ مسلمون .

## بريطانيا :

● تقوم المؤسسة الإسلامية فى بريطانيا بتعليم الدين الإسلامى للطلبة المسلمين فى ٦٣ مدرسة حكومية بريطانية .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الاسم البريد ١٩٩٤ ١٩٩٥	١٩٩٤ ١٩٩٥	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
		فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
		دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس
١	الاربعاء	١٦	٤١	٥٤	١١٣٣	١٧	٣٥	٤	١١	١٦	٣٣	١٨٩
٢	الخميس	١٧	٤١	٤٩	١١٣٣	١٦	٣٤	٥	١١	١٧	٣٣	١٨
٣	الجمعة	١٨	٤٢	٥٠	١١٣٣	١٥	٣٣	٧	١١	١٨	٣٤	١٨
٤	السبت	٢٩	٤٢	٥١	١١٣٣	١٤	٣٢	٨	١١	١٩	٣٤	١٨
٥	الاحد	٢٠	٤٣	٥١	١١٣٣	١٣	٣١	١٠	١١	١٩	٣٤	١٨
٦	الاثنين	٢١	٤٤	٥٢	١١٣٣	١٢	٣٠	١٢	١٢	٢٠	٣٤	١٨
٧	الثلاثاء	٢٢	٤٥	٥٣	١١٣٣	١١	٢٩	١٤	١٢	٢١	٣٥	١٨
٨	الاربعاء	٢٣	٤٥	٥٣	١١٣٣	١٠	٢٨	١٥	١٢	٢٢	٣٥	١٨
٩	الخميس	٢٤	٤٦	٥٤	١١٣٣	٩	٢٧	١٧	١٢	٢٣	٣٥	١٨
١٠	الجمعة	٢٥	٤٧	٥٥	١١٣٣	٨	٢٦	١٩	١٢	٢٤	٣٥	١٨
١١	السبت	٢٦	٤٧	٥٦	١١٣٣	٧	٢٦	٢٠	١٢	٢٥	٣٦	١٨
١٢	الاحد	٢٧	٤٨	٥٧	١١٣٣	٦	٢٥	٢١	١٢	٢٥	٣٦	١٩
١٣	الاثنين	٢٨	٤٨	٥٧	١١٣٣	٦	٢٥	٢٢	١٢	٢٦	٣٦	١٩
١٤	الثلاثاء	٢٩	٤٩	٥٨	١١٣٣	٥	٢٤	٢٤	١٢	٢٧	٣٦	١٩
١٥	الاربعاء	٣٠	٤٩	٥٩	١١٣٣	٤	٢٣	٢٥	١٢	٢٧	٣٧	١٩
١٦	الخميس	٣١	٥٠	٥٩	١١٣٣	٣	٢٢	٢٧	١٢	٢٨	٣٧	١٩
١٧	الجمعة	٣١	٥٠	٥٩	١١٣٣	٢	٢١	٢٩	١٢	٢٩	٣٧	١٩
١٨	السبت	٣١	٥١	٥٩	١١٣٣	١	٢٠	٣١	١٢	٣٠	٣٨	١٩
١٩	الاحد	٣٢	٥١	٥٩	١١٣٣	٠	١٩	٣٣	١٢	٣١	٣٨	١٩
٢٠	الاثنين	٣٣	٥١	٥٩	١١٣٣	٠	١٩	٣٤	١٢	٣٢	٣٨	١٩
٢١	الثلاثاء	٣٣	٥٢	٥٩	١١٣٣	٠	١٨	٣٥	١٢	٣٣	٣٨	٢٠
٢٢	الاربعاء	٣٤	٥٢	٥٩	١١٣٣	٠	١٨	٣٦	١٢	٣٣	٣٨	٢٠
٢٣	الخميس	٣٤	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٧	٣٧	١٢	٣٤	٣٨	٢٠
٢٤	الجمعة	٣٥	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٦	٣٩	١٢	٣٥	٣٨	٢٠
٢٥	السبت	٣٥	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٥	٤٠	١٢	٣٥	٣٩	٢٠
٢٦	الاحد	٣٦	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٥	٤١	١٢	٣٦	٣٩	٢٠
٢٧	الاثنين	٣٧	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٤	٤٣	١٢	٣٧	٣٩	٢٠
٢٨	الثلاثاء	٣٧	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٤	٤٤	١٢	٣٨	٣٩	٢٠
٢٩	الاربعاء	٣٨	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٣	٤٥	١٢	٣٨	٣٩	٢١
٣٠	الخميس	٣٨	٥٣	٥٩	١١٣٣	٠	١٣	٤٦	١٢	٣٩	٣٩	٢١

# أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

**اسمها :** زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية وهي أخت ميمونة بنت الحارث لامها .

**زواجها :** كانت زوجة لعبد الله بن جحش فاستشهد بأحد فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم .  
وقيل كانت زوجة للطفيل بن الحارث ومن بعده تزوجت أخاه عبدة بن الحارث فقتل عنها ببدر ، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر رضي الله عنها وكان ذلك في رمضان سنة ثلاث .

**فضلها :** كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم .

**وفاتها :** بقيت في بيت النبوة شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية أشهر وماتت في ربيع الثاني سنة أربع وكانت الزوجة الثانية بعد السيدة خديجة التي ماتت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .  
انتقلت إلى جوار ربها وكان عمرها ثلاثين سنة فمضى الله عنها وأرضاها .



## « إلى راغبى الاشتراك »

وصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتقاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندهنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

- |            |  |
|------------|--|
| مصر :      | القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة .  |
| السودان :  | الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : ( ٣٥٨ ) .  |
| ليبيا :    | { طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : ( ١٣٢ ) .<br>بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : ( ٢٨٠ ) . |
| المغرب :   | الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .   |
| تونس :     | مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .   |
| لبنان :    | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٨ ) .  |
| عـدـن :    | مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٧ ) .  |
| الأردن :   | عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) .  |
| السعودية : | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ ) .  |
|            | الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٢ ) .   |
|            | الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ ) .   |
|            | الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : ( ٢٢ ) .  |
|            | مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .  |
| المراق :   | المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .  |
|            | بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .  |
|            | البحرين :  |
|            | المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .   |
|            | قطر :  |
| أبو ظبى :  | الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : ( ٥٢ ) .  |
|            | شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : ( ٨٥٧ ) .  |
|            | دبى :  |
|            | مطبعة دبى .  |
|            | المكـويت :   |
| المكـويت : | مكتبة الكويت المتحدة .   |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

## أقرب في هذا العدد

- ٤ ... دور الاسلام في العصر الحديث ... للدكتور حسن هويدي
- ١٣ ... ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ... للأستاذ محمد عزة دروزة
- ٢٠ ... مفاهيم سليمة ... د : محمد علي الزغبى
- ٢٨ ... الحضارة القرية ... د : عماد الدين خليل
- ٣٥ ... الاسلام والشرائع السابقة ... للأستاذ محمد محمد الشرقاوى
- ٤٠ ... الاجتهاد ... للأستاذ محمد رجاء حنفى عبد المنجلى
- ٤٨ ... الحكم الشرعى ... د : محمد سلام مذكور
- ٥٤ ... الحج والعمرة ... للأستاذ أحمد عبد المحسن المنشاوى
- ٦٠ ... نظرات في الحديث ... د : محمد عبد الرؤوف
- ٦٧ ... وشاورهم في الأمر ... د : أحمد الحوفى
- ٧٢ ... مائدة القارىء ...
- ٧٤ ... الاعلام العربى ... للأستاذ أحمد العناني
- ٨٠ ... بين القوة والضعف ... د : أحمد الشرياصى
- ٨٦ ... حق الله على عباده ... للأستاذ عبد الرحمن عبد اللطيف
- ... دستور الاخلاق في القرآن ( كتاب الشهر ) ... عرض محمد عبد الله المسمان
- ٩٦ ... وليمة اصفهانية ( قصة ) ... اللواء محمود شيت خطاب
- ١٠٣ ... الفتاوى ... للتحرير
- ١٠٥ ... بريد الوعى ... اعداد : عبد الحميد رياض
- ١٠٧ ... باقلام القراء ... للتحرير
- ١٠٩ ... قالت الصحف ... للتحرير
- ١١١ ... الأخبار ... اعداد : الأستاذ فهمى الامام
- ١١٣ ... مواقيت الصلاة ...
- ١١٤ ... أم المؤمنين السيدة زينب رضى الله عنها ...

مع هذا العدد :  
رسالة الحج - مدينة

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ



أَنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ الْمُشْرِكِينَ كَيْفَ يَشَاءُ

اشباح معلوما

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ لِمِثْلِ مَا رَفَعَ  
وَلَا فَوْقَ وَلَا جِدَالَ يَجْعَلُ فِي  
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ  
وَتَزِدُّوا فَاِنْ خَالِفْتُمْ  
وَالْمُتَّقُونَ يَا اُولِي الالْبَابِ